الْبَحْثُ الْأَدَبِىُّ

مفهومُهُ ومُقَوِّماتُهُ ـ مَنَاهِجُهُ وَتَطبيقَاتُه

بقلم

الدكتور/ محمد عبد المنعم العربى

أستاذ الأدب والنقد فى

جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

دعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمَّ إنى أسألك فَهْمَ النَّبِيِّين،

وحِفْظَ المُرْسَلِينَ،

وإِلْهَامَ مَلائِكَتِكَ المُقَرَّبين،

اللهمَّ أَكرِمْنِى بنورِ الفهْمِ،

وَأَخْرِجْنى مِنْ ظُلُمَاتِ الوَهْمِ،

وافتحْ لِى أبوابَ فَهْمِكَ،

وَأَبْوَابَ رَحْمَتِكَ،

يَا أَرحَمَ الرَّاحِمين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وإمام الهداة والمرشدين:

وبعد/......

فهذه دراسة متواضعة عن (البحث الأدبى) حاولت فيـــها جهد طاقتى تبسيط الحديث فـــى أسســـه ومقوماتـــه ومناهجـــه وتطبيقاته، وحرصت فيها على ذكر تفصيلات كثيرة فى بعــض النقاط تمسكت بإثباتها والتنبيه إليها، لما لمست فى تجاربى مـــن غفلة بعض الباحثين عنها، ووقوعهم فِي مَعَرَّةِ الجهل بـــها مـــع بداهتها، وما أصابهم ذلك إلا من قِبَلِ قلَّةِ الاطِّـــلاع، وضعــفِ التكوين، مع الزهدِ فى القراءةِ، والقعودِ عن التشمير عن ســاعد الجِدّ وبذلِ الجهدِ، مما أفْضَى بهم إلى ضَحَالةِ الثقافـــةِ، وتفاهـــة المستوى والعجزِ المُشِينِ عن اللحاق بركبِ الأكْفَاءِ المُــبَرِّزين، والعاملين المخلصين.

انتماء البحث الأدبى:

و(البحثُ الأدبىُّ) ينتمى إلى فصيلة البحوث فى (العلـــوم النظرية) كاللغة والتاريخ والفلسفة، فى مقابل فصيلة البحوث فى (العلوم العملية التجريبية) كالطب والكيماء والصيدلة والزراعة. التى تعتمد أساسا على التطبيقات المعملية ورصد نتائجها - على أن العلوم النظرية لا تخلو من جوانب تطبيقية كتطبيق نظريات (النحو) على الشواهد الشعرية والنثريـــة، وتطبيق (النظريات الأدبية) على النصوص كذلك.

ولكل من الفصيلتين طرق وخصائص، بيد أنهما تشتركان فى أسس كلية، وقواعد عامة، وتخضعان للمنهج العلمى للبحث، مع انفراد كل منهما بما يلائمه.

وإنى لأرجو أن أكون قد وُفِّقتُ ـ بعون من الله وفضل ـ إلى الأخذ بيد الباحث المبتدئ (الذى كتب هذه الدراسة من أجله) إلى الطريق القويم للبحث، فلا تَزِلُّ قدمه، ولا يقع فى المقابح والأخطاء، وأن تكون هذه الدراسة مصباحا يستضئ به فى مسيرته البحثية، وهاديا يجنبه المتاهات، ويَقِيهِ الضلالات.

وعلى الله قصد السبيل، وهو سبحانه واهب الإنعام، ومانح الإلهام، وولى التيسير والتوفيق.

الدكتور

محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم العربى

البابُ الأَوَّل

البحثُ بوجْهٍ عامّ: مفهومُهُ وأرْكَانُه ومَرَاحِلُه

(تمهيد فى أهميّة البحث)

للبحث - بوجه عام - أهمية قصوى فى تطوير العلوم المختلفة وتقدمها، وتنقيتها من شوائب الخطأ والغفلة والتُّرَّهات(*) والظنون، وفى السير فى دراستها على هدى ونور، وفى الارتقاء بها درجات كلما تجدّد الزمن، لتجنيَ البشرية من كل ذلك أطيب الثمار، وفى تجويد المؤلفات وإعطائها قيمةً علمية حقّة، وفى الدُّرْبَةِ على الكتابةِ المنظَّمةِ الهادفة، التى يقتنع بها العقلُ، وتطمئن لها النفسُ، ويستريح إليها القلب.

(*) الترهات: الأباطيل.

الفصل الأول

"معنى البحث"

(أولا فى اللغة):

هو مصدر بَحَثَ يَبْحَث من باب (فَتَحَ) جاء فى (القاموس المحيط)[١] "بحث عن الشَّئْ فتَّش...، والبحْث: المعدن، والحية العظيمة..".

وجاء فى (لسان العرب) [٢] :"البَحْثُ طلبُك الشَّئَ فى التراب.. والبحْث أن تسأل عن شيء وتستخبر، وبَحَثَ عن الخبر: سَأَل.. والبحْث: الحية العظيمة لأنها تبحث التراب، وسورة براءة كان يقال لها: البَحُوثُ، لأنها بحثتْ عن المنافقين وأسرارِهم أى استثارتها وفتَّشَتْ عنها، والبُحُوث جمع بحْث (بضم الباء) وقد تفتح فهى حينئذ فَعُول من أبنية المبالغة ويقع على الذَّكَر والأنثى كصَبور... والبحْث المعدن[٣] يُبْحث فيه عن الذهب والفضة..".

---

(١) لمجد الدين الفيروزاباذى المتوفى عام ٣٩٨هـ.

(٢) لابن منظور الافريقى المصرى ت عام٧١١هـ.

(٣) أى الخام المختلط بغيره.

وجاء فى (المصباح المنير) للفيومى[١] :"بحث عن الأمـر بحثا: استقصى وبحث فى الأرض حفرها، وفى التنزيل "فبعـث الله غرابا يبحث فى الأرض" (سورة المائدة آية:٣١) [٢].

وجاء فى (المعجم الوجيز) [٣] :"٠٠٠وبحث الأمر وفيـه: اجتهد فيه وتعرف حقيقته فهو باحثٌ وبَحّاثٌ وبَحّاثَة، وبَاحَثَهُ فـى الشئ بحث معه فيه، وتباحثا: تبادلا البحث٠٠"٠

وهنا نرى هذه المعاجم قد اتفقت على معنى للبحث هـو (التفتيش عن شئ خفىّ)، وزاد بعضها إطـلاق معنـاه علـى (الفاعل)كالحية الباحثة فى التراب (أو الرمل عن مأوى تختبـئ فيه) [٤]، أو على(المفعول به)كالمعدن (لاكتشافه أو للبحث فيـه لفصل عناصره بعضها عن بعـض لأخـذ النفيـس واسـتبعاد الخسـيس) [٥]، وزاد بعضـها (الاسـتقصاء)وزاد البعـض (الاستخبار والسؤال)، وزاد البعض فى معنى البحث فى الأمـر: (الاجتهاد فيه وتعرف حقيقته)٠

---

(١) أحمد بن على المَقَرِىّ الفيومى ت عام ٧٧٠هـ٠

(٢) أى يحفر فى الأرض حتى يكشف مكانا يدفن فيه أخاه (راجع كتـب التفسير)٠

(٣) لجماعة من علماء (المجمع اللغوى) بالقاهرة، راجع الطبعة الثانيـة منه عام ١٤١٢هـ ـ١٩٩٢م٠

(٤) ما بين القوسين المميزين هكذا (٠٠) هو من زياداتنا للتوضيح٠

(٥) ما بين القوسين المميزين هكذا (٠٠) هو من زياداتنا للتوضيح٠

وخلاصة ذلك كله أن البحث (جهد يبذل، لفائدة تبتغى) ولعلك تلاحظ معنا عدة أشياء:

١-أن هذه المعانى اللغوية تقترب كثيرا من المعنى الاصطلاحى للبحث، الذى سنوافيك به بعد قليل.

٢-وأن البحث (بمعناه اللغوى) يتجه غالبا لأمور (مادية) بوسائل مادية، كحفر الإنسان الأرض ـ على سبيل المثال ـ لأغراض كثيرة منها الزراعة، واستنباط الماء، ومواراة الموتى، واستخراج المعادن..الخ.

٣-ولكنه[1] لم يغفل بعض الأمور (المعنوية) كما فى شأن سورة التوبة التى سميت (البَحُوثَ) لبحثها عن أسرار المنافقين حتى كشفتْها وفضحتْهم.

٤-لكن البحث (بمعناه الاصطلاحى) يتجه للأمور المعنوية أساسا ويستعين (بالجهود العقلية) للاهتداء إلى حقائق العلوم والآداب وتطوير نظرياتها، وقد يجمع (البحث العلمى) بين النظر العقلى والتجارب المادية فى العلوم التطبيقية التى يؤتى البحث فيها ثمارا ونتائج فكرية ومادية معا، كما سبق أن نوّهْنا.

(ثانيا: المعنى الاصطلاحى للبحث) بوجه عام:

يمكننا تعريفه بأنه (تناول موضوع معين أدبى أو علمى بالدراسة الشاملة، والتفتيش الدقيق عن خباياه، والتنقيب عن حقائقه، واستكشاف جوانبه، واستقصاء مسائله، وحصر

---

(١) أى المعنى اللغوى، ويلاحظ أنَّ المعانيَ اللغويةَ أَعَمُّ وأن المعانيَ الاصطلاحيَّة أخصُّ.

جزئياته، بطريقة علمية منهجية منظمة، والاجتهاد في ذلك والصبر والمثابرة والإخلاص والحَيْدَةُ للوصول إلى نتائج محددة، وحقائق جلية، وآراء جديدة مقنعة، مفيدة للقارئين وللباحثين من بعد في هذا الموضوع أو فيما يتصل به.)★

فهو إِذَنْ : عملٌ علميٌّ متكامل، ذو صورةٍ واضحة، ومضمونٍ سليم، وافٍ في بابه، شافٍ في موضوعه، ينشد الحق والصواب ويضيء الطريق ويمهدُ للسالكين، ويضيفُ الجديد، ويضعُ لبنةً قويةً صالحةً في بناء العلمِ الشامخ. مَوْضوعُ البَحْثِ وَكيفَ يُخْتار؟:

ويؤخذ من هذا التعريف أنه لابد للبحث من (موضوع) يَخْتاره الباحثُ بنفسه، ولا يَعْتَمِدُ في اختيارِهِ على غيرِهِ، ويَخضعُ الاختيار لعدة عوامل في مقدمتها:

الحاجةُ إلى بحث هذا الموضوع بعينه، ووفرةُ الدواعي التي تدعو إلى تناوله كطرافته[1] وعمقه، وفائدته المتوقعة، فلا يتجه الباحث إلى موضوع سبق بحثه، أو قُتِلَ بحثا، وإلا كان تكرارا مملا، وإضاعةً للوقت سدى.

وممَّا يعينُ على حسنِ الاختيارِ: التَّأَنِّي والتَّأَمُّلُ، وَطَرْحُ عددٍ من الموضوعاتِ في الجانبِ المرادِ بحْثُهُ، لانْتقاءِ أفضَلِها وأنسبِها-بعد الموازنةِ بينها، حتى يصل الباحث إلى الاقتناع الكامل بموضوعه.

---

(١) الطريف: الجديد.

(★) هذا التعريف من وضعنا.

(مِنْ عَوامِلِ نجاحِ البحْث فى موضوعٍ مّا)

وإخضاعُ موضوع البحثِ للدراسةِ يقتضى التفـــرغَ لـــه، وتوفـــيرَ الوقتِ والتهيُّؤَ الذهْنىَّ، وحُسْنَ الاستعدادِ للخوضِ فيـــه، بحشـــدِ الجَهْدِ، وإعمالِ الفِكرِ، والإقبالِ على العملِ، كما يقتضِى الرجوعَ إلى المصادرِ والمراجعِ المتعلقةِ بالموضوع، لمعرفـــةِ أصولـــهِ ومسائلِهِ، وزواياه وأبعادِه، وما انتهى إليه البـــاحثون الســـابقون فيه، بحيث يبدأُ مِنْ حيث انتهَوْا، بعد تلخيصِ الجـــهودِ الســـابقة والإشارةِ إليها فى إيجازٍ غيْرِ مُخِلّ.

الفصل الثاني

"هيكلُ البحثِ: أَرْكَانُهُ وَمَرَاحِلُه"

أولا: (العُنْوَانُ):

بعد اختيار الموضوع، تأتى (الصِّيَاغَةُ لعنوانِه) ويُرَاعَـــى فيها أن يكونَ العنوانُ دَالًّا على الموضوع دلالـــةً مطابِقـــة، لا نَقْص فيها ولا فُضُول[1]، وبهذا يكون العنوان مُحْكَمًا، لا قاصرا عن موضوعه، ولا فَضْفَاضًا، ومما يعين علـــى ذلـــك تحديـــدُهُ تحديدا دقيقا، مع جمالِ الصياغةِ واشتمالها على عنصرِ الجـــذبِ والتشويق٠

ثانيا: (المادة):

مادة البحث هى نسيجُهُ العِلْمى الأَوَّلِىّ، ومضامينُهُ الفكرية وقضاياه المطروحة، ونظرياتُهُ المعروضة، ومسائلُهُ المبثوثة فى شتى المصادرِ٠

(طريقةُ جمعِ المادةِ والحصولِ عليها):

يتم الحصول على المادة من المصادر المختلفة، والمراجع المتعلقة بالموضوع، وذلك بالاتصال بها، ومطالعتِها، وأخذِ مـــا

---

(١) الفضول: الزيادة٠

يتصل به منها وتسجيله كتابة فى دفاتر خصة[١] للرجوع إليــه، والإفادة منه بعد مرحلة الجمع٠

(المصادر والمراجع: أنواعها وطرق استكشافها)

(المصدر):

جهة أصيلة للمعارف والمعلومات، ومستودع كبير لـــها، وخزانة حافلة بالعلم والأدب والحكمة، وأمثلة المصادر ســـتأتى عند الحديث عن توثيقها، فالمصدر مرجع أصلى متميز٠

و(المرجع العادى):

دراسة مأخوذة من المصادر، معتمدة عليها، وتتضمن إلى جانب ذلك تعليقات صاحبها واجتهاداته فكلُّ مَصْــــدَرٍ مَرْجــعٌ، وليس كلُّ مرْجعٍ مَصْدَرًا٠ (وأنْوَاعُ المصَادِرِ) أربعةٌ إجمالاهى:
١-الكتب ٢-الدوريّات ٣-الكتاباتُ القديمةُ على أوراق (البَرْدِيّ) وعلى جلودِ الحيوانِ، والمنقوشةُ على الأحجارِ والمبانى الأثرية العتيقة ٤-المصادرُ الحيَّة -وإليكَ التَّفاصيل.
١-(الكتب): وهى أهمها، ويتمُّ استكشافُها بالآتى:
أ) بكثرة التردد علـــى (المكتبـــات العامـــة والخاصـــة)، ومراجعة (فهارسها) المنوّعة، فمنها الفهارس التى ترشـــد إلـــى (عناوين الكتب) ومنها ما يرشد إلـــى(أســـماء المؤلِّفيـــن) وفـــى

---

(١) أو حفظه بوسائل التسجيل الحديثة (كالتصوير الضوئى) أو شـــرائط (الكاست) إذا كانت المادة كلاما شفهيا أو حديثـــا مذاعـــا أو شـــرائط (الفيديو) إذا أتيحت٠

المكتبات العامة تصنيف للعلوم والآداب وفروعهما، وقد يكون فيها أقسام (للمخطوطات) وأقسام (للدوريات) [جمع دَوْرِيَّة، وهى المطبوعة التى تصدر بانتظام (دائرة) مع وقت معين كاليوم أو الاسبوع أو الشهر... الخ

ب)كما يتم استكشاف الكتب بالرجوع إلى (قوائم الكتب) التى تخرجها (المطابع ودور النشر) الكبرى كل عام أو كل عدة أشهر، وفيها بيان بأسماء الكتب الجديدة التى أخرجتها هذه الدور، وعادة ما تكون مبوبة على فرع العلم ولكن هاتين الجهتين (المكتبات وقوائم الكتب) تدلان الباحث على ما هو موجود فعلا فيها، ولا تدلانه على ما ليس فيهما مما هو موجود فى غيرهما، أو مما هو موجود فى الخارج.

جـ)وهنا يجب على الباحث أن يتجه إلى المؤلفات التى أُلِّفَتْ فى (علمِ أحوالِ الكتبِ) أو (علم المراجع* أو (البيليوجرافيا) بالتعبير الأوربى الحديث، وهى مؤلفات ضخمة ترشد الباحث إلى ما ظهر من الكتب فى شتى العلوم والفنون والمعارف الإنسانية بعد تصنيفها إلى مجموعات، وإلى أسماء مؤلفيها، كما يذكر معظمها تعريفا للعلم أو الفن وتاريخ ظهوره وتنويها بفضائله وفوائده، وكذلك ترجمة للمؤلف تشمل تاريخ ولادته وتاريخ وفاته، وذكر سائر مؤلفاته. ولهذا فهى قبلة الدارسين والباحثين في كل علم وفن، لما لها من قيمة عظيمة، وفوائد جليلة. وَسَتَأْتِيكَ أمثلةٌ لأشهرها بعد قليل.*

(*) وممن عُنِيَ بهذا العلم -فى مذكرة لطيفة له- أستاذنا المرحوم د/ عبدالمنعم محمد عمر أحد أساتذة (كلية اللغة العربية بالقاهرة) ١٩٦٧م

وتحتل هذه النوعية من المراجع قسما خاصا في (المكتبات الكبرى) يسمى (قسم المراجع العامة) ولا يسمح باستعارتها خارج المكتبة، بل يتم الاطلاع عليها في داخلها فقط، وذلك لكثرة الطلب عليها في كل وقت، وشدة احتياج الدارسين إليها وإنما أفردناها بالكلام عنها مع سبق حديثنا عن (المكتبات) لأن هذه الأقسام لا توجد إلا في (المكتبات الكبرى) ولا تتيسر في المكتبات الفرعية، وسنذكر لك فيما يلي أسماء أهم المؤلفات التي تخصصت في (علم المراجع) في اللغة العربية والثقافة والفنون الإسلامية، فمن فضل الله علينا ـ نحن العربَ والمسلمين ـ أَنْ وُجِدَ من علمائنا الأقدمين جهابذة[١] كانوا روادا لهذا العلم منذ(القرن الرابع الهجري)أي في أواسط العصر العباسي الزاهر بعد أن اتسعت الثقافة الإسلامية، وكثرت المؤلفات في شتى العلوم والفنون، ونمت المكتبة العربية نموا هائلا عجيبا.

وقد نهج نَهْجَهم، وسار على دربهم علماءُ فضلاءُ من بعدهم واستمرت مسيرةُ هذا العلم حتى عصرِنا الحديث، وهاك ما وعدناك به:

---

(١) الجهبذ (بكسر الجيم) :النقاد الخبير. (انظر القاموس المحيط).

١-كتابُ (إحصاءِ العلوم) للفارابي[١] المتوفى عام ٣٣٩هـ٠

٢-كتابُ (الفِهْرِسْت) لابن النديم[٢] الذى ألفه عام ٣٧٧هـ٠

٣-كتاب (مفاتيح العلوم) لمحمد بن أحمد الخوارزمي[٣] المتوفى عام ٣٨٧هـ٠

٤-كتاب (موضوعات العلوم) لزين الدين البسطامى المتوفى عام ٨٥٨هـ٠

٥-كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم) لعصام الدين أحمد بن مصلح الدين مصطفى الشهير بطاش كوبرى زادة[٤] المتوفى عام ٩٦٨هـ٠

٦-كتاب (كشفِ الظنون عنْ أَسَاَ مِى الكتب والفنون) لحاجى خليفة[٥] المتوفى عام ١٠٦٧هـ٠

---

(١) أبو نصر محمد الفارابى أحد فلاسفة المسلمين الأوائل الملقب بالمعلم الثانى وكتابه (إحصاء العلوم) مطبوع فى مصر بتحقيق د/عثمان أمين دار الفكر ١٩٤٩م٠

(٢) أبو الفرج محمد بن إسحاق المتوفى عام ٤٣٨هـ وكتابه (الفهرست) طبع فى ألمانيا ثم فى مصر٠

(٣) كتاب (مفاتيح العلوم للخوارزمى) ما زال مخطوطا ولم يطبع بعد٠

(٤) كتاب (مفتاح السعادة) طبع فى الهند ثم بيروت٠

(٥) هو (مصطفى بن عبد الله الإسلامبولى) وكتابه (كشف الظنون) طبع فى تركيا وألمانيا ثم فى مصر٠

٧-كتابُ (اكتفاءِ القَنُوع بما هـو مطبـوع) للمستشـرق الأمريكى (فنديك) والشيخ (محمـد علـى الببـلاوى المطبـوع عام١٣١٣هـ ١٨٩٥م على مطابع (دار الهلال) بالقاهرة٠

٨-كتاب (إيضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون)٠

٩-كتاب (هداية العارفين إلى أسـماء المؤلفيـن وآثـار المصنفين) وكلا الكتابين من تأليف (إسماعيل باشـا البغـدادى) المتوفى عام ١٣٣٩هـ الموافق لعـام ١٩٢٠م ـ أكمـل فـى أولهما ما فات (حاجى خليفة) فى (كشف الظنون)، وجمع فـى الثانى ما ظهر من المؤلفات بعد وفاة (حاجى خليفة) إلى أوائـل القرن الرابع عشر الهجرى وقد طبع الأول فى (إسلامبول) عـام ١٩٤٥م والثانى كذلك فى عام ١٩٥١ و١٩٥٥م بمعرفـة وزارة المعارف التركية٠

١٠-كتاب (معجـم المطبوعـات العربيـة والمعربـة، لسركيس) [1] وقد جمع فيه كل الكتب العربية والمعربـة التـى نشرت مطبوعة فى جميع أرجاء العالم منذ بدء استخدام الطباعة إلى عام ١٩١٩م فى أحد عشر جزءا٠

١١-كتاب (جامع التصانيف الحديثة) لسركيس أيضا وقـد أكمل به كتابه السابق وجمع فيسه من المطبوعات ما ظهر مـن عام ١٩١٩م إلى عام١٩٢٧م فى مجلدين والكتابان مطبوعـان

---

(١) هو (يوسف بن إليان بن سركيس) المولود فى دمشق عام ١٢٧٣هـ الموافق لعام ١٨٥٦م والمتوفى عام ١٣٥١هـ ١٩٣٢م ٠

فى مطبعة سركيس بالقاهرة ما بين أعوام ١٣٤٥ـ١٣٤٨هـ الموافقة لما بين ١٩٢٧ـ١٩٣٠ م٠

وتحظى المراجع ١،٢،٥،٦،١٠ بمكانة متميزة من بين ما ذكرناه لك، لما فيها من جهد علمى كبير، وما تضمنته من فوائد جليلة للباحث٠

والمراجع من (الأول للسادس) تدل الباحث على الكتب القديمة، ومن (السابع إلى الحادى عشر) تدله إلى جانب ذلك، على الكتب الحديثة٠

ولعلنا ــ بعون من الله تعالى ــ نعقد لك فصلا خاصا فيه تفصيل بعد هذا الإجمال ــ عن المؤلفات الخاصة بعلم المراجع وميزة كل منها وطريقته فى تصنيف العلوم والمراجع وترتيبهما، وما تضمنه كل منها من ألوان المعرفة، حتى تكتمل لك صورتها، ويسهل عليك الانتفاع بها٠

جـ)كما يتم استكشاف الكتب والمراجع بسؤال أهل العلم والاختصاص عنها من الأساتذة والعلماء والأدباء ولكن لا ينبغى الاتكال على ذلك دون الاعتماد على النفس فى البحث والاستكشاف، وبذل المزيد من الجهد والنشاط، كما لاحظنا ذلك ــ من أسف ــ على بعض الباحثين الكُسَالَى والاتكاليين، قليلى الحيلة، وهى صفات أبعد ما تكون عن مجال البحث والدراسة الجادة٠

٢-ومنها[١] (الدوريات) التى أشرنا إليـــها آنفـــا، وهـــى (المجلات والصحف والجرائد) ما بين سنوية وفصلية وشـــهرية وأسبوعية ويومية، وفى الدوريات مادة علمية وأدبية لا يســـتغنى عنها باحث ولا مثقف فى عصرنا الحاضر، لأنها ميدان واســـع متجدد لنشاط الحركة الفكرية للأمة فى شتى مجالاتها، لاســـيما فى الدراسات الحديثة والثقافات العالمية التـــى سَـــهَّلَتْ وســـائلُ الاتصالِ الحديثةِ تبادُلَهاَ، وحُدُوثَ التأثُّرِ والتأثيرِ فيما بينها.

٣-ومنها أيضا: النقوش والخطوط القديمة على المبـــانى العتيقة، والكتابات الأثرية المدونة على أوراق (البردى) وعلـــى جلود الحيوان ــ كرق الغزال ــ المحفوظة فى المتـــاحف ودور الكتب الكبرى، فالمتاحف بذلك من المراجـــع القيمـــة للبـــاحثين وبخاصة فيما يتعلق (بالتاريخ والحضارة) بل وفى العلـــم والأدب أيضا، فهناك مثلا (قانون حمورابى)[٢] المكتوب علـــى ألـــواح حجرية، ولولا هذه الأحجار ما عُرِفَتْ نصوصُ هـــذا القـــانون، وهنا (حَجَرُ رشيد) المكتوب عليه نـــصٌّ بثـــلاث لغـــات منـــها

---

(١) أى من المصادر والمراجع . ص ١٣

(٢) (حمورابى) أعظم ملوك (بابل) فى العراق القديم ــ حوالـــى عـــام ٢٠٠٠قبل الميلاد وكان هذا القانون مؤلفا من مائتين وخمسين مـــادة. وراجع (تاريخ مصر والعالم القديم للدكتور/ جمال مختار ط. القـــاهرة ١٩٧٦م.

(الهيروغليفية) [١] ولولاه لما اهتدى الباحثون إلى فك رموز هذه اللغة، وهناك نصوص نثرية وشعرية مكتوبة بكاملها على جدران المعابد والمسلات والمقابر فى الحضارات القديمة وفى مقدمتها حضارة(قدماء المصريين)وفى الحضارة الإسلامية كذلك كتبت نصوص على جدران بعض المساجد والبيمارستانات[٢] والأسبلة[٣] والمدارس فى شتى العهود والبلاد، ونذكر من ذلك قصيدة الشيخ (شهاب الدين محمد بن إسماعيل) المكتوبة على جدران (مسجد محمد على) بالقلعة بالقاهرة ـ من الخارج بخط جميل والتى مطلعها:

عَرُوسُ كُنُوزٍ قَدْ تحلَّتْ بِعَسْجَدٍ مُكللةٌ تِيجَانُهَا بالزَّبرجَدِ

وهى من عشرة أبيات يشيد فيها بعظمة وفخامة وجمال هذا المسجد، وما تزال باقية حتى اليوم[٤].

٤–ومنها (مصادر حَيَّة) تتمثل فى عَالِمٍ أو أديبٍ معاصرٍ (على قيد الحياة)يتجه بعض الباحثين إلى دراسة حياتهِ وآثارِه

---

(١) هى لغة قدماء المصريين أيام الفراعنة، وما زالت كتاباتها على معابدهم وآثارهم موجودة حتى اليوم.

(٢) جمع (بيمارستان) معرّب وهو المصحة أو المستشفى.

(٣) والأسبلة جمع (سبيل) وهو مكان يعد لحفظ الماء العذب لشرب المارة.

(٤) وقد رأيناها وقرأناها عند زيارتنا لهذا المسجد الرائع المبنى أعلى قلعة (صلاح الدين الأيوبى) بالقاهرة وراجع نص هذه القصيدة فى (المنتخب من أدب العرب) لطه حسين وآخرين جـ٢ صـ٤٨٣ ط دار الكتب المصرية عام ١٣٥هـ ١٩٣١م.

فيسعى هذا الباحث إلى لقائه، ويُجْرِى معه الأحاديثَ حول موضوعِهِ، ويسأله عن أمورٍ قد خفيتْ عليه، ويتلقى منه الإجابات، ويدونها، ويستقى منه المعلومات عن حياته ونتاجه وقد تتكرر هذه اللقاءات الشخصية فيفيد الباحث منها كثيرا، لأنها من المصادر المباشرة الأصيلة، وقد تُمِدُّ الشخصيةُ الباحثَ بوثائق نادرة ونصوص لم يسبق نشرها، فيكون للباحث فضلُ السبقِ إلى التعريف بها وإذاعتها.

ومما هو بسبيل ذلك أن يلتقى الباحث (بأُسْرَةِ عالم أو أديب بعد وفاته) — إن فاته أن يلتقى به فى حياته — ليأخذ منهم ما يفيده فى بحثه مما خلَّفه فقيدُهم من أوراق ومذكرات، وغالبا ما يُسَرُّ الأديب أو العالم فى حالِ حياتِهِ، وتسرُّ أسرته بعد وفاته باتجاه الباحثين إليهم، ويرحبون بهم، ولا يضِنُّون عليهم بما عندهم من المعلوماتِ والوثائقِ القيّمة وفى هذا فائدة كبيرة للبحث، بتوضيح أمور كانت غامضة وإحياء آثار لولا السعى إليها لتعرضت للضياع والاندثار.

ويجب على الباحث عَزْوُ[1] كلِّ جُزْءٍ من المادة إلى الجهة التى أخذ منها عزوًا صريحا لا لبس فيه، مراعاةً لفضيلةٍ ينبغى أن يتحلى بها الباحث، وألا يغفل عنها طرفة عين هى (الأمانةُ العلمية) التى بدونها يسقطُ قدرُهُ، وينحطُّ شأنُه، وينهارُ بحْثُه.

---

(١) عزو: إسناد.

الفصل الثالث

تقسيم (المادة) إلى أجزاء:

أ-الأبواب:

بعد جمع المادة من مصادرها المتعددة[1]، وبعد استيعابها وهضمها، يبدأ الباحث بتنسيقها وترتيبها ترتيبا أوليا بحيث يضع الإِلْفَ إلى جانب إِلفه، ويضم الشبيهَ إلى شبيهه، والموضوعَ إلى قرينهِ ومُجَانِسِه.

ثم ينتقى مما جمعه اللبابَ والجوهرَ، ويستبعد ما عداهما فيحذف المكرر، ويستغنى عما ليس فى صميم الموضوع، ويشرعُ فى وضع خُطَّة محكمة للسير فى البحث، وذلك بتقسيم الموضوع إلى أجزاء كبيرة تستوعبه وتفى به، وهى (الأبواب).

وينبغى أن ترتب الأبواب ترتيبا منطقيا بحيث يبدأ بما حَقُّهُ أن يكون أَوَّلاً، ويختم بما يقتضى العقل أن يكون آخِرًا، ويجعل بينهما ما يناسب أن يكون وَسَطاً ورابطا بين بداية البحث ونهايته.

---

(١) من غير المقبول اعتماد الباحث على مصدر واحد أو اثنين، بل لابد من تعدد المصادر، وتنوع المراجع، لتغطية كل الجوانب، والإحاطة بجميع الزوايا فى الموضوع.

والترابط بين الأبواب مطلب ضرورى ليكون البحث مثل حلقات متسلسلة يُفْضِى بعضُها إلى بعض فى يسر وسُهُولة، وهذا التكامل والتواصل يجعل البحث عملا تاما يشبه فى توحده وتلاحمه(الوحدة العضوية)التى ينبغى تحقُّقُها فى فنّ (القصة) وفى (المسرحية)٠

ب- الفصول:

ثم يتناول الباحث كل باب على حدة، فيقسمه إلى أجزاء مناسبة يسمى كلا منها (فصلا) يشتمل كل منهما على العناصر الجزئية والنقاط الصغيرة٠

ويطلب فى الفصول من الترابط والتسلسل ما يطلب فى الأبواب ليخرج العمل كله متجانسا متلاحما، بعيدا عن التفكك والاضطراب، بريئا من العيوب[1]٠

ثالثا: المقدمة:

ولابد للبحث من(مقدمة)تكون فى أوله*، ولكنها تكتب – غالبا – أو تكمل بعد جمع المادة ورسم الخطة، إذ تتضح الرؤية للباحث حينئذ٠

---

(١) وقد يكون البحث صغيرا لا يتحمل التقسيم إلى أبواب، فيكتفى فيه بالفصول، وقد يكون أصغر فيقسم إلى مباحث صغيرة لكل مبحث عنوان. (*) وتوضع بعد صفحة العنوان قبل الباب الأول.

وفيها يشير الباحث إلى أهمية الموضوع، وإلى الهدف من البحث، ويذكر أهم مصادره ومراجعه ولاسيما التى انتفع بها أكثر من غيرها، كما يوضح – فى إجمال – خطته التى التزمها وسار عليها فى البحث، وينبغى أن تكون المقدمة مع وفائها بما سبق أميل إلى الإيجاز وأبعد عن الإطالة والإسهاب.
والمقدمة ضرورية لكل بحث إذْ هى مُمَهِّدَةٌ له، مُعَرِّفَةٌ به وليس يسوغُ للباحث أنْ يهجُمَ على موضوعٍ دونَ تمهيدٍ مناسب.

رابعا: الخاتمة:

وفيها يلخِّصُ الباحثُ مضمونَ البحثِ من أبواب وفصولٍ تلخيصا وافيا، ويصفُ عملَهُ وجهدَه فى تواضع من غير إسراف ولا مبالغة – ويذكرُ النتائجَ التى توصَّل إليها فى موضوعه من خلالِ بحثِهِ واجتهادِه، ويُبْرِزُ الجديدَ الذى أضافهُ مِنْ عندياتِ نفسِهِ، ويذكرُ العقباتِ التى صادفَتْهُ وكيف أمكنه التغلبُ عليها.
كلُّ ذلك فى قصْدٍ وصدق، والخاتمة لازمة للبحث كالمقدمة فهى بمثابة التلخيص المفيد والمذكِّر بمحتوى البحث وأهم ما فيه بالإضافة إلى نتائجه.

خامسا: الفهارس:

ومن أوجب الواجبات أنْ يُذَيَّلَ البحثُ بالفهارسِ الفنيةِ اللازمةِ له، إذْ هى التى تعينُ القارئَ على تصوُّرِهِ، وتشوِّقُهُ لتصفحِهِ، وتهديهِ إلى نقاطِهِ ومسائله، وتهيِّئه لحسنِ الانتفاعِ به، فهى دليلُ القارئ، ومرآة البحْث ومِصْبَاحُهُ الكاشف.

أنواع الفهارس:

ومن الفهارس ما هو(وَاجِبٌ حَتْمِيٌّ)فى كل بحث، ومنها ما هو(واجب فى أنواع معينة من البحوث دون غيرها) وإليك بيان ذلك.

١-(فهرس الموضوعات):

وَتُذكَر فيه موضوعات البحث وجزئياته بالتفصيل مندرجة تحت الأبواب والفصول مرتبة حسب ورودها فيه وهو من(الفهارس الحتمية)في كل بحث ولأهميته البالغة وكونه مرآة البحث الأساسية، يرى بعض المؤلفين أن يكون موضعه فى أول الكتاب لا فى آخره[1].

٢-(فهرس المصادر والمراجع):

وهو من(الفهارس الواجبة كذلك فى كل بحث) وَيُذكر فيه اسمُ المرجع وبعده اسم مؤلفه، ويبيَّن هل هو مخطوط أو مطبوع ومكان الطبع وتاريخه إن كان مطبوعا ومكان النسخة إن كان مخطوطا.
وتُرَتب أسماء الكتب هجائيًّا من الألف للياء ، ولهذا اختار الباحثُ فى هذا الفهرس أَنْ يكونَ بأسماءِ المؤلِّفين ، فَلْيُرَتِّبْهُمْ كذلك على أَحْرُفِ الهجاءِ ، وبعْد اسمِ المؤلف يأتى باسمِ المرجع.

(١) راجع موقع(فهرس الموضوعات)فى كتاب:(المنتخب من أدب العرب) لطه حسين وآخرين ط. القاهرة ١٣٥٠هـ ١٩٣١م وكتاب (فى النقد الأدبى) لشوقى ضيف دار المعارف بالقاهرة جـ١٩٦٢/٣م وكتاب (دراسات فى الأدب العربى وتاريخه لمحمد عبد المنعم خفاجى ط. القاهرة ب.ت. - على سبيل المثال - لترى أن فهرس الموضوعات فى كل منها وُضِعَ فى أَوَّلِ الكتاب.

وهذا الفهرس مظهرٌ من مظاهرِ توثيقِ البحث، ومُبَيِّنٌ لصلته بالبحوث السابقة عليه فى الموضوع المدروس ومدى ما فى هذه الصلة من قوة الارتباط، وجودةِ الاختيار، وكياسةِ الأخذ والاقتباس، ولطفِ الاستمدادِ من المنابع الثرة[١]، ويقظةِ الباحث فى الاهتداء إليها، وحسنِ تبصُّرِهِ فى الاستفادة منها[٢].

ولهذا الفهرس أصل فى داخل البحث (فى الهامش) حيث يشير الباحث إلى كل مصدر أو مرجع عند التعامل معه، بالاستشهاد بنص منه، أو مناقشةِ رأيٍ أو قضيةٍ وردتْ فيه ذاتِ صلةٍ بالبحث.

ولا تغنى هذه الإشارة فى هوامش البحث عن هذا الفهرس إذ فيه جَمْعٌ لما تفرق، واستدراكٌ لما يكونُ قد فات الباحث أو سها عن الإشارة إليه من المراجع، كما أنَّ فيه وفاءً لمن أفاد منهم الباحث واعترافا بالفضل لأهله، وإرشادا لمن يجئ بعده من الباحثين.

وبعض المؤلفين لا يجد القارئ فى كتبهم البيانات الهادية، فى هذا الفهرس فترى فهارسهم خالية من مثل مكان الطبع وتاريخه وما إلى ذلك، وهذا من جانبهم تقصيرٌ فى حَقِّ القُرَّاءِ

---

(١) الغزيرة.

(٢) وهنا ننبه إلى عدمِ جواز ذكر مراجع لم يرجع إليها الباحث، ويكون المقصودُ حينئذٍ حَشْدُ عددٍ كبيرٍ من المراجع للإيهامِ أو المباهاة.

وحق الباحثين من بعدهم، ينبغي التنبه لـــه، وتداركـــه، وعـــدم إغفاله بأى حال.

٣-(فهرس الآيات القرآنية) إذا كثر ورودها فى البحـــث وهذا مألوف فى الدراسات التى تدور حول القـــرآن الكريـــم أو التى يستشهد فيها كثيرا بنصوصه وآياته.

٤-(فهرس الأحاديث النبوية) إذا كثر ورودها ى البحـــث كذلك.

٥-(فهرس القوافى والبحور) :إذا كـــان البحـــث خاصـــا بالشعر أو تحقيقا لديوان أحد الشعراء أو دراسة عنه، ويكتفى فيه بذكر البيت الأول مما ورد، وذكر القائل، وتُرتّب الأبيات إمّا بحسب ورودها فى البحث وإمّا بحسب الترتيب الهجائى لقوافيها.

٦-(فهرس الأعلام):

وهو من أهم الفهارس وأدعاها لمزيد من جـــهد البـــاحث وأكثرها إفادة له ويشمل أعلام (الأناسى) مـــن علمـــاء وأدبـــاء وفلاسفة وأطباء وملوك ووزراء، وقادة وأمراء، كمـــا يشـــمل أعلام (الأماكن) من أقاليم وبلدان وما يتصل بـــها مـــن جبـــال وبحار وأنهار، وحصون وقصور..الخ. إذا اشتمل البحث على كثير منها، وكانت ذات أثر واضح فى مجال البحث، وتُرتب الأعلام ترتيبا هجائيا محكما.

٧-(فهرس الخرائط والمصورات):

من تاريخية وجغرافية، وأماكن أثريـــة، إذا كانت ذات أهمية للبحث.(*)

(*) فبحث عن (الأندلس) مثلا يحتاج إلى (خرائط) قديمة وحديثة لهذه البلاد، وإلى مصورات عديدة لآثار المسلمين الحضارية فيها، وراجع (ابن زمرك الغرناطى) سيرته وأدبه للدكتور (أحمد سليم الحمصى) طرابلس - لبنان ١٤٠٥هـ ١٩٨٠م

٨-(فهارسُ أُخْرَى):

وقد تدعو خُصُوصِيَّةُ البحْثِ إلى وَضْعِ فَهَارِسَ أُخْرَى غَيْرِ مَا سَبَق[1].

وَيُرَاعَى فِي جَمِيع أنواع الفَهَارِسِ وَضْعُ ترقيمٍ تَسَلْسُلِيٍّ على الجَانِبِ الأيْمَنِ مِنْ كُلِّ صَفْحَةٍ وذِكْرُ أرْقَامِ الصَّفَحَاتِ على الجَانِبِ الأيْسَرِ مِنْهَا، لِيَسْهُلَ الرُّجُوعُ إلى أيِّ مَوْضُوعٍ في البَحْثِ بالنَّظَرِ إلى الفِهْرِس.

---

(١) راجع شرح الأستاذ (حسن السندوبى) على كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ ففى آخره نوعيات من الفهارس مثل (فهرس أسماء الأمم والقبائل) وفهرس بأسماء (أيام الوقائع) وفهرس بأسماء (الآلات الحربية والملابس والأدوات والمرافق) كما أنه جعل فهرس الأعلام فهرسين أولهما (لأعلام الرجال) والثانى (لأعلام النساء) ـ راجع (البيان والتبيين) شرح وتحقيق حسن السندوبى ط ونشر المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م.

البَابُ الثَّانِى

"التَّوْثِيقُ وأَهَمِّيَّتُهُ فِى الْبَحْث"

الفصل الأول

معنى التوثيق ومجالاته وطرقه:

(أولاً: معناه): وثّق الشئ: قوّاه وثبّته وأحكمه ليكون موضع ثقة فيه، واطمئنان إليه، ومنه توثيق ١- الكلام والرأى ٢- المعلومات ٣- المراجع، ٤- الأعلام ٥- النصوص بأنواعها.

فإن كان (الكلام أو الرأى) من عند الباحث: وثّقه بالتعليل له، وإقامة الأدلة على صحته.

وإن كان (نصًّا) منقولا عن الغير، ردّه الباحث إلى صاحبه، ونسبه إلى قائله فى وضوح وصراحة، وإلى المرجع الذى أخذه منه ورواه عنه.

وإذا وردت فى أثناء البحث (معلومات) تاريخية أو جغرافية أو فلكية... الخ وثق الباحث كلَّ معلومة - فى الهامش بشرحها شرحا علميا فى إيجاز وإذا ورد (علَم) مهمٌّ عرَّف به فى الهامش تعريفا مناسبا، وإذا تعرض (لمرجع) فلابد من توثيقه على النحو الذى سيأتى تفصيله بإذن الله تعالى ومشيئته.

(ثانيا - مجالاته): بيّنّا معنى التوثيق وذكرنا إجمالاً المجالات التى يشملها وهى (خمسة)، ونفصّل بادئين بأهمها[1] وهو: (المراجع)[2]، وقبل أن نشرع فى بيان كيفية توثيق المراجع، ننبّه إلى أمر بالغ الأهمية، هو: انقسامها إلى قسمين: (أصلية وثانوية) وهاك كلمةً عن كل منهما:

---

(١) أى بأهم مجالات التوثيق الخمسة. (٢) ونخصّ من المراجع هنا: أقواها أثرا وأكثرها شيوعا وهى (الكتب).

(أ) المَرَاجِعُ الأَصْلِيَّةُ أَوْ الْمَصَادِر:

هى أمهات الكتب فى كل علم وفن، وغالبا ما تكون من كتب التراث، وعلى رأسها (القرآن الكريم)، وكتب الحديث النبوى الجامعة (كصحيح البخارى) و(صحيح مسلم) فى الدراسات الدينية، ومثل (مؤطأ مالك) وكتاب (الأم للشافعى) فى الدراسات الفقهية، وكتاب (السيرة النبوية) لابن هشام، و(تاريخ الطبرى) و(تاريخ ابن كثير) فى التاريخ والسِّيَر، وكتاب (القانون لابن سينا) فى الطب و(كتاب سيبويه) فى النحو والمعاجم اللغوية الكبرى (كلسان العرب لابن منظور) و(الصحاح للجوهرى) (والقاموس المحيط للفيروزابادى فى الدراسات اللغوية. وكتب (عبد القاهر الجرجانى) فى البلاغة[1]، ودواوين الشعراء ودواوين الرسائل والأمثال والمقامات وكتب الأدب الكبرى (كالأغانى) لأبى الفرج الأصفهانى، و(البيان والتبيين) للجاحظ و(الكامل) للمبرد و(العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسى و(الأمالى) لأبى على القالى، و(مقدمة ابن خلدون) و(يتيمة الدهر) للثعالبى و(معجم الأدباء) لياقوت الحموى فى الدراسات الأدبية وغير ذلك كثير، من الكتب الموسوعية[2]:

(١) مثل كتابيه المشهورين (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة).

(٢) (الموسوعة كتاب كبير يحوى معلومات واسعة فى عدة مجالات من العلم/ أو فى مجال واحد)، وهى بالمعنى الأول تقترب من (دائرة المعارف) الحديثة وبالمعنى الثانى تنطبق على كثير من الكتب العربية التراثية الضخمة مثل كتاب (الأغانى) لأبى الفرج الأصفهانى فهو=

فالحق أن اللغة العربية حافلة بأمهات الكتب فـــى شـــتى العلوم والفنون لدرجة لا تكاد تلحقها فيها لغة من اللغـــات ومـــا مثّلنا به يرجع لنوع (المراجع المتخصصة) ويوجد نـــوع آخـــر ظهر فى العصر الحديث هو (المراجـــع العامـــة) أو (دوائـــر المعارف) التى تجد فيها من كل فن طرفا، وعن علـــوم كثـــيرة دراساتٍ وأبحاثا.

(والمراجع الأصلية) ينبغـــى أن تكـــون عمـــادَ البـــاحث لاشتمالها على المادة الغزيرة والمعلومات الوفيرة، فهى المـــورد العذب، والمعين الذى لا ينضب، ولإجماع العلماء قديما وحديثـــا على احترامها وتقديرها وهى أولى باسم المصادر عندما يـــراد التنوية بها.

ب)المراجع الثانوية:

ويراد بها الكتب والدراسات الحديثة التى ألفـــها مؤلفـــون معاصرون أو قريبو العهد بنا واعتمدت فى تأليفها على الأخـــذ من المصادر الأصلية ــ ما عدا (دواوين الشعر) مثـــلا فـــهى مصادر ومراجع أصلية ولو كان أصحابها محدثين ــ

=موسوعة أدبية وكتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموى فهو موســوعة جغرافية تاريخية أدبية.

ومع أن المراجع الثانوية مفيدة، والإطلاع عليها واجب لمعرفة التطور الذى يحدث فى البحوث المختلفة، إلا أنه لا يعتمد عليها إلا بقدر، ولا تصلح لتوثيق النصوص التراثية ولا تُجْعَل عمدة فى ذلك ولا بديلا للمصادر الأصلية، فلا يسوغ لباحث أن يورد حديثا نبويا، وينسبه لمرجع ثانوى بل الواجب أن يوثقه لمصدر أصلى (كالبخارى) و(مسلم) وأمثالهما من الكتب الصحاح الجامعة المعتمدة فى (علم الحديث) كذلك من المراجع الثانوية (المختصرات) فإنها لا تغنى فى الرجوع إليها عن الأصول المطولة، كمختصرات الفقه والنحو ما إليها، إلا إذا فُقِدَ الأصلُ، فَيُجْتزأ بها عندئذ للضرورة، عند التوثيق فمثلا لا يغنى كتاب (قطوف الأغانى) لكرم البستانى[1] عن أصله وهو كتاب (الأغانى) نفسه، لوجود هذا الأصل وانتشاره، ولكن هنالك بعض الكتب الأصلية مفقود، ولم يبق لنا إلا اسمه واسم مؤلفه، مثل كتاب (نصرة الفترة وعصرة القطرة) للعماد الأصفهانى[2] وموضوعه تاريخ الدولة السلجوقية[3] وتراجم ملوكها ووزرائها وأدبائها، وله مختصر اسمه (زبدة النصرة ونخبة العصرة) للفتح

---

(١) هو كرم بن سليمان بن حسن البستانى أديب لبنانى معاصر مولده عام١٣١١هـ ووفاته ١٣٨٦هـ (١٨٩٤ـ١٩٦٦م) .

(٢) أديب وكاتب كبير فى دولة صلاح الدين الأيوبى توفى عام ٥٩٧هـ .

(٣) دولة إسلامية خلفت دولة (البُوَيْهِيِّينَ) فى السيطرة على مشرق العالم الإسلامى فى ظل الخلافة العباسية من عام ٤٤٧هـ إلى عام ٥٩٦هـ

بن على البندارى[1] وهذا المختصر موجود ومطبوع، فليس على الباحث ــ فى موضوعه ــ من جناح إذا اعتمد عليه لضرورة فقد الأصل، ولابد من أن يكون فقد الأصل أمرا مقررا معروفا عند الباحثين والعلماء لا مجردَ احتمالٍ أو ظَنٍّ.

ثالثا: (طُرُقُ التَّوْثِيق)

طريقة توثيق المراجع[2]:

سبق أن بينا أنواع المراجع، من كتب ودوريات، وكتابات أثرية فى المتاحف وعلى الأبنية وشبهها، ومن مراجع حيّة كالشخصيات والشرائط والتسجيلات المسموعة والمرئية، ونشرع الآن فى بيان طريقة توثيق كل نوع وبالله التوفيق.

١ - الكُتُب: فتوثيق المرجع إن كان (كتابا) يكون بكتابة اسم الكتاب كاملا غير مختصر، واسم مؤلفه كاملا كذلك شاملا (اللقب) و(الكنية) إنْ وُجِدَا، وبالنص على أن الكتاب (مخطوط) أو (مطبوع).

(أ)توثيق المخطوطات:

فإن كان الكتاب (مخطوطا) يبين الباحث صفات النسخة التى نَقَل عنها، ورجع إليها، فيبين حجمَها وعددَ أجزائها وعددَ الأسطر فى الصفحة، ونوعَ المادة المكتوب عليها من ورق أو

---

(١) المتوفى عام ٦٤٣هـ.

(٢) نريد بالمراجع ما يشمل (المصادر) لأن المصادر ــ كما أسلفنا مراجع أصيلة متميزة.

غيره، ونوع الخط الذى كُتِبَتْ به أهو خط النسخ أو الرقعة أو غيرهما كالخط الفارسى أو المغربى، ومدى وضوحه، واسم الكاتب الذى نسخها، وهل النسخة كاملة أو بها نقص وإذا كان بها نقص عيَّنَ موضعه، وإذا كان بها عيب آخر ذكره ونبه عليه، وغالبا ما يذكر الناسخ اسمه فى آخر المخطوطة وتاريخ انتهائه من نسخها، فيذكر الباحث ذلك ولا يغفله، ويذكر أيضا مكان وجود المخطوط (فى دار الكتب المصرية بالقاهرة) مثلا وعدد النسخ الموجودة منه فى هذه المكتبة (وصفات كل نسخة – فى حالة التحقيق[1]) والرقم الفنى الاصطلاحى المقيد عليه. وأفضل المخطوطات ما كتب بخط المؤلفِ نفسِهِ أو بخط أحد تلاميذه بإملاءٍ منه أو بإجازةٍ، وما كان حَسَنَ الخط خاليا من النقص ومن العيوب.

وبعد تقدم الوسائل الحديثة لحفظ الكتاب، يمكن أن يَحِلَّ محل المخطوطةِ (نسخةٌ مصورة) منها (بالتصوير الضوئى) الجيد، فقد تكون المخطوطة فى بلد بعيد يعز الوصول إليه، وهذا حال كثير من المخطوطات العربية والكنوز التراثية النفيسة المفقودة لدينا، والموجودة حاليا فى مكتبات (أوربا) الشهيرة كمكتبة (لندن) و(باريس) و(ليدن) بهولندا

---

(١) التحقيق: خدمة مخطوطة من التراث خدمة علمية وإعدادها للطبع والنشر، وستأتى كلمة عن التحقيق لاحقا إن شاء الله.

و(الأوسكريال) بأسبانيا (وموسكو) بروسيا وغيرها، وهذه الكتب القيمة نُقِلتْ من البلاد العربية والإسلامية، بعد أن حِيزتْ نــــهبًا وسرقةً، أيام الاستعمار الأوربى لها، أو شراءً بثمن بخس علـــى أيدى السماسرة الإفرنج من تجار الكتب أيام غفلــــةِ المســـلمين ونومهم العميق فى عصورهم المتأخرة ــ وإعادةُ هذه الكنـــوزِ العلمية إلينا، وتحقيقُها وطبعُها ونشرُها واجبٌ عظيم، ودَيْن فـــى أعناقِ العلماء والباحثين من العرب والمسلمين يقتضى تضـــافرَ جهودِ الأمة الإسلامية، بتوفير المال والخـــبرة وحشْــدِ الــهمم والجهود، ورسم الخطة للنهوض بهذا المشروع الحيوى الضخم، وإنه لأَملٌ نرجو أن يتحقق يوما لمصلحـــة العلـــم والحضــــارة، والأدب والثقافة فى عالمنا المعاصر، ونــــهضتنا الحديثـــة، وإذا صُوِّرتْ مخطوطة بالتصوير الضوئى الذى أشـــرنا إليـــه فـــإن النسخةَ المصورةَ تعامل فى التوثيق معاملة أصلـــها المخطـــوط بذكر ما يمكن من بياناتها ويضاف إليه ذكرُ مكان وجود النســـخة الخطية الأصلية وذكرُ الجهةِ التى أذنت بتصويرهـــا، وتـــاريخُ التصوير.

(ب)توثيق المطبوعات:

وإذا كان الكتاب (مطبوعا) يذكر الباحث مكانَ طبعه واسمَ الدارِ التى تولتْ الطبع والنشر أو أحدهما، وتاريخَ الطبع، ورقـــمَ الطبعة إذا تكرر الطبع، وعددَ الأجزاء فى حالـــة تعددهـــا، وإذا

كان الكتاب محققًا ذكرَ اسمَ محققه، وإن كان مشروحا ذكر اسم شارحه ـ إعطاءً لكل ذى حقٍّ حقَّه ـ وإذا كان الكتاب من جزء واحد فيا حبذا لو ذكر عددَ صفحاته، ليُعْطِىَ القارئَ تصورا صحيحا عن حجْمه، والغرضُ من إثبات تلك البيانات كلِّها أن تكونَ موضِّحة لصورة الكتاب أتمَّ توضيح، كاشفةً عنه مُعِينةً على سرعةِ الاهتداء إليه، مزيلةً لكلِّ غموضٍ يمكن أن يتطرق إليه، ميسِّرة الانتفاعَ به أفضلَ انتفاع٠

وإذا كان فى بعض بيانات الكتاب نقصٌ نَبَّهَ الباحثُ إليه ، فمثلا إذا لم يجد تاريخَ الطبع ذكر ذلك صراحة أو رمز إليه برمز يفيده مثل حرفى (ب ت) أى بدون تاريخ، وهنا نشير إلى أن بعض المؤلفين يَسْهُونَ عن ذكرِ بعض البيانات ـ وهى عادةً تكتب على صفحة العنوان أو فى آخر الكتاب ـ فَيُوقعون الباحثين فى حَيْرة ـ فليتهم يتنبهون لتدارك ذلك خدمة للعلم وتيسيرا للباحثين، وربما تعمدتْ بعضُ دورِ النشر إغفالَ بيانات معينة كرقم الطبعة وتاريخها لأغراض تجارية مادية، وبخاصة بعد عصر (التصوير الضوئى) للمطبوعات ـ ونرجو أن يختفىَ هذا السلوك مع ازدياد الوعْى بضرورة التوثيق وأهميته إلى جانب أخلاقيات المهنة وآدابها٠

حدثناك عن توثيق الكتب مخطوطة ومطبوعة، وجدير بنا أن نحدثك عن مظهر آخر جديد لإخراج المؤلفات، وهو ما يكتب بوساطة (الآلة الكاتبة) وهو حلقة وسطى بين المخطوطات والمطبوعات، وقد جرت العادة بأن تكتب بهذه الوسيلة (الرسائل والأطروحات الجامعية) التى يتقدم بها أصحابها للحصول على الدرجات العلمية، ولا يُنْسَخُ منها إلا عدد محدود، يحفظ بعضه فى مكتبات الكليات والجامعات المانحة للدرجة العلمية[١].

وهذه الرسائل والأطروحات العلمية من المراجع المهمة فى موضوعها نظرا للجهد الكبير الذى يبذل فى إعدادها، وقد لا يتيسر لكثير من أصحابها طبعها ونشرها على نطاق واسع ككتب تتداول، فتبقى رهينة الحبس فى تلك الأماكن المحدودة.

وعلى الباحث ــ فيما يتصل بموضوعات تلك الرسائل أن يرجع إليها فى أماكنها التى أشرنا إليها ليفيد منها، ويقف على الجديد فيها الذى قد لا يكون فى غيرها.

٢-(توثيق الدوريات):

ولابد فيه من بيان اسم الدورية، وبيان نوعها من مجلة أو صحيفة أو جريدة، وبيان مواقيت صدورها (سنوية أو فصلية

(١) ولما ظهرت آلة الطباعة والنسخ الحديثة (الكمبيوتر) اتجه إليها أصحاب تلك الرسائل، فصارت رسائلهم من المطبوعات ولكن على نطاق ضيق .

أو شهرية أو أسبوعية أو يومية) ورقم (سنتها الخاصة) وتبـدأ من تاريخ صدورها لأول مرة ورقم العـدد وتـاريخ صـدوره باليوم والشهر والعام ومكان صدور الدورية، وعنـوان المقـال المستشهد به، واسم كاتبه ورقمي صفحتي ابتدائه وانتهائه.

٣-توثيق (الكتابات الأثرية):

ويكون بالنص وحفظها من (متحـف) وشـبهه، ونوعيتها من كتابات على المباني، أو على أوراق البردي مثـلا، ولابد من وصفها بدقة وذكر عدد أسطرها، واللغة التي كتبـت بها، وترجمة صادقة لنصها إلى اللغة العربيـة[1]، أو تلخيـص لمحتواها حسبما تقتضي مصلحة البحث.

٤-(توثيق المراجع الحية) أو (اللقاءات الشخصية):

ويكون بالتعريف بالشخصية، ومكان اللقاء، ومدته ونـص أو ملخص الحديث المثار والمناقشات بين الباحث والشـخصية، والتعريف بالوثائق التي حصـل عليـها البـاحث وعددهـا إن وجدت، ولا بأس بإثبات صورة (زنكغرافية) أو ضوئيـة لـهذه الوثائق.

---

(١) إن كانت بلغة غير العربية.

الفصل الثانى

(توثيق النصوص والأعلام)

توثيق النصوص:

وهو من أهم أنواع التوثيق، لما للنصوص من أهمية بالغة إذ هى عامل فى توثيق غيرها من القضايا والنظريات، فلابد من أن تكون هى ذاتها وثيقة لا يتطرق إليها ضعف أو شك ولا غنى للباحث عن النصوص المختلفة استشهادا وتدليلا بها فى مواقعها المناسبة.

والنصوص أنواع، فمنها (النص القرآنى) وهو فى الذروة من الثقة والتبجيل، فإذا كان النص المختار قرآنيا، فلابد من التنبيه على أن ما سيكتب هو من (الكتاب العزيز)، ولابد من فتح علامة بدء النص "...فى أوله، ووضع علامة انتهاء النص.." فى آخره، وبعدها مباشرة يذكر اسم السورة وبعده رقم الآية، ومن المستحسن بل من الواجب ضبط الآية أو الآيات بالشكل الكامل، اتقاء للخطأ فى قراءتها، وعونا للقارئ على نطقها صحيحة.

وإذا كان النص (حديثا نبويا) نص على ذلك، وأرجعه إلى مصدره (البخارى) مثلا، وذكر الباب (باب الإيمان) مثلا، ويا حبذا لو ذكر الراوى الأول للحديث عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم (الصحابى)، ولابد من بدء الحديث وختمه بعلامتى التنصيص "٠٠٠"، مع ذكر سائر بيانات الكتاب التى سبق التنويه بها باعتباره مرجعا، فيجمع بين توثيق (النص) وتوثيق (المرجع) على أن يكون توثيق النص فى الأصل، وتوثيق المرجع فى الهامش٠

وإذا كان النص مقتبسا من كلام غير القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وكان نصا نثريا، وضع أيضا بين (علامتى التنصيص) ونسب إلى صاحبه وذكر المصدر الذى أخذ منه على النحو الذى أشرنا إليه من قبل٠

وإذا كان النص (شعريا) قدمه الباحث بما يشعر بأنه شعر، وكتب الأبيات (بنظام الشعر العربى المعروف) القائم على كتابة كل بيت فى سطر مستقل وعلى الفصل بمسافة صغيرة بين شطرى البيت، ونسبه إلى قائله فى الأصل أو فى الهامش٠

توثيق الأعلام:

ويجب على الباحث أن يعنى أتم عناية بتوثيق (الأعلام) سواء أكانت أعلامَ أَنَاسِيَّ من رجال ونساء أم أعلام (أماكن) فى أثناء ورودها فى البحث، وذلك بضبطها بالشكل وبالتعريف بكل منها فى الهامش تعريفا موجزا مشتملا ــ فى الأناسى ــ على تاريخ مولد (العَلَم)

وتاريخ وفاته أو تاريخ وفاته فحسب إذا جهل تاريخ مولده وعلى ذكر بلده ومهنته.

على ضبطها بالشكل كذلك،

وفى أعلام الأماكن يشتمل التعريف بـــها وعلـــى تحديـــدٍ يوضح مواقعها بدقة، ويبين نوعيتها من مدينة أو قرية أو بحـــر أو نهر أو جبل أو شِعْبٍ[1] أو مَرْجٍ أو نجْم أو كوكب أو بـــرْج سماوىّ أوْ موْضِعٍ صَحْراوىّ.

وهناك مصادر قديمة وحديثة تعين على توثيـــق الأعـــلام بنوعيها، فمن القديمة بالنسبة (للأناسىّ) (وَفَيَاتُ الأعيـــانِ لابـــن خِلّكان) و(معجم الأدباءِ) لياقوت الحموىّ ومن الحديثـــة كتـــاب (الأعْلام) لخير الدين الزركلى.

ومن المصادر القديمة لأعلام الأمكنة: (مُعْجَـــمُ البلـــدان) لياقوت، ومن الحديثة (الأطالس) التاريخية والجغرافية وللنوعين (الأناسى والأمَكنة) فى القديم والحديـــث المعـــاجم والقواميـــس اللغوية، وكتبٌ أخرى مثل كتاب (إعجام الأعْلام) للأستاذ الشـــيخ (محمود مصطفى)، و(ضبط الأعلام) (لأحمد تيمور باشا).

(أهمية (التاريخ الهجرى) فى التوثيق):

والمعتمد فى تاريخ الولادة والوفاة للأعلام، وفى توثيـــق الأحداث والوقائع المهمة، هو(التاريخُ الهجرىُّ)إذا كان الحـــدَثُ فى العصور الإسلامية الأولى أو الوسيطة وما بعدها إلى فجـــر

(١) الشعب ـــ بكسر الشين ـــ هو الطريق بين جبلين.

العصر الحديث (أى من القرن الأول الهجرى حتى بداية القرن الثالث عشر الهجرى تقريبا) [١] حيث كان التاريخُ الهجرىُّ هو السائدَ المسيطر على الحياة العربية والإسلامية سياسيا واجتماعيا وفكريا، وكل مؤلفات العرب والمسلمين مبنية عليه، وكل تواريخ أحداثهم مدونة به.

وإذا كان التوثيق لحدث من أحداث ما بعد تلك العصور، (أى العصر الحديث)، من بدايات القرن الثالث عشر الهجرى إلى الآن[٢] فالمعتمد فيه(التاريخان معا):الهجرى والميلادى ويبدأ الباحث بالعام الهجرى لأنه تاريخنا وشرفنا ومناط أمجادنا وَيُتْبِعُهُ بما يوافقه من العام الميلادى، حيث أدى ازديادُ الاتصالِ بين العالم العربي والإسلامي ودول (أوربا) المسيحية التى تؤرخ بالتاريخ الإفرنجى المسيحى، وخضوعُ المسلمين لتوجيهات الأوربيين أيام الاستعمار البغيض، وتحوُّلُ القيادةِ السياسية والعلمية فى العالم إلى دول الغرب، أَدَّى كلُّ ذلك إلى دخولِ التاريخ الميلادى[٣] بلادَ العربِ والمسلمين واستعمالِهِ عندهم كأمرٍ واقع، إلى جانب اشتباكِ المصالح فى الشئون

---

(١) ويوافق ذلك غارة (الحملة الفرنسية على مصر والشام بقيادة نابليون بونابرت) عام ١٢١٣هـ ١٧٩٨م ثم قيام دولة (محمد على) فى مصر عام ١٢٢٠هـ ١٨٠٥م.

(٢) نحن الآن فى بدايات القرن (الخامس عشر) الهجرى ويبدأ التاريخ الهجرى بحادث هجرة الرسول (محمد عليه السلام) من مكة إلى المدينة.

(٣) يبدأ التاريخ الميلادى بمولد النبى (عيسى عليه السلام).

الاقتصاديةِ وغيرها، وتفاعلِ الثقافات بيننا وبينهم ولكن الاكتفاء بالتاريخ الميلادى عند توثيق الأحداث أو تقديمه فى الذكر على التاريخ الهجرى أَمْرٌ مَرْفُوضٌ ذَوْقًا وَفنًّا، وهو خطأٌ سببُهُ نقصُ الوعى العلمى والوطنى، ونرجو ألا يقع فيه الباحثُ العربىُّ المسلمْ بأىِّ حالٍ من الأحوال.

وهناك كتب تعرضت لموضوع (تحويل التاريخين الهجرى والميلادى أحدهما إلى الآخر) تيسيرًا على الباحثين، منها فصلٌ عن ذلك فى (دائرة معارف الشعب العدد ٤٦ الصادر بتاريخ ١٩٥٩م). عن دار الشعب بالقاهرة.

ويمكن للباحث الاعتماد على نفسه فى ذلك إذا عرف أن بَدْءَ التاريخ الهجرىِّ أى عام ١ هجرية يوافق عام ٦٢٢م فيضاف هذا العدد من السنين إلى أىِّ عام هجرى ليعرف العام الميلادى الموافق له، ويحذف هذا العدد نفسه من أى تاريخ ميلادى ليعرف العام الهجرى المقابل له، مع ملاحظة مهمة هى أن العام الهجرى ينقص عن العام الميلادى بمقدار (أحد عشر يوما) فيعتبر حساب هذه الأيام عند التحويل.

"أهمية الضبط بالشكل فى توثيق النصوص والأعلام"

ولابد للنصوص (النثرية)، وفى مقدمتها (القرآن الكريم) (والحديث النبوى) الشريف، ثم الأمثال العربية، والحِكَم

المأثورة، والخطب والرسائل التراثية، لابدّ مِنْ ضبطها بالشكل ضبطا تاما، لكي تُقْرَأَ صحيحة، ولا يتطرقَ إليها التحريف أو اللحن فيفسدَ معناها، وكذلك النصوص (الشعرية) لما سبق، ولئلا يختلَّ وزنُها العروضيُّ، وجَرْسُها الموسيقى فينكسرَ البيت الشعرى، ويَسْمُجَ وَقْعُهُ على الآذان إنْ نُطِقَتْ حروفُهُ وكلماتُهُ بغير ما تستحق من الحركات والسكنات، فبعضُ الكلمات العربية حَمَّالُ أَوْجُهٍ فى النطق، والضَّبْطُ الصحيحُ يُعَيِّنُ المطلوبَ، ويُخْرِجُ من الحَيْرة، ولذلك فإنه ينبغى أَنْ تُضْبَطَ (الدواوين الشعرية) كلُّها بالشكلِ التامِّ، فليس كل القراء عندهم الحِسُّ الموسيقيُّ الذى يهديهم إلى النطقِ السليمِ المتَّسِقِ مع النَّغَمِ الشِّعْرِيِّ.

ويجب – فى رأينا – أَنْ تُضْبَطَ كذلك (الكتب التى تؤلف للأطفال) والناشئين، ليتعودوا على صحة النطق منذ نعومة أظفارهم وتتطبعَ ألسنتُهُمْ بكثرة القراءة والمعاودة فى الكتب المضبوطة على سلامةِ اللغةِ وحُسْنِ الأداء.

ولابد كذلك من ضبط (الأعلام) ضبطا صحيحا وذلك بالرجوع إلى مصادر هذا الضبط، من المعاجم والكتب المتخصصة التى أشرنا إليها سابقا.

وإنما يضبط (وجوبا) من الأعلام ما كان غريبا أو مشتبها يُوقِع فى لَبْسٍ إذا لم يُضْبَطْ، ولا يتحتَّم ضبطُ ما كان مألوفا معروفا (كمحمد) و(أحمد) و(إسماعيل) و(إبراهيم) ولكن يُضْبَطُ

مثلُ (خِلِّكَان) [١] بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة و(كُلْثوم) [٢] بضم الكاف و(دِعْبِل) [٣] بكسر الدال وتسكين العين وكسر البـــاء و(قُتَيْلَة) [٤] بضم القاف وفتح التاء (وكُثَيِّر) [٥] بضم الكاف وفتح الثاء وتشديد الياء المكسورة، و(كُشَاجِم) [٦] بضم الكاف، وفتـــح الشين الممدودة وكسر الجيم.

وهو من الكثرة فى أسماء (الأناســـىّ) بحيــث لا يكـــاد يحصره عدد وكذلك فى أسماء (الأماكن) مثل (بَـــرَدَى) بفتـــح أحرفه الثلاثة الأول للنهر الذى يَـــروى دمشـــق وغُوطَتَـــها[٧] و(زَنْدَرُود) للنهر الذى يمر (بأصْفَهان) [٨] إحدى بـــلاد فـــارس وهو بفتح الزاى وتسكين النون وفتـــح الـــدال وضـــم الـــراء،

---

(١) جد (القاضى شمس الدين صاحب (وفيات الأعيان) المتوفـــى عـــام ٦٨١هـ.

(٢) والد (عمروَ بن كلثوم الشاعر الجاهلى المعروف).

(٣) شاعر عباسى موال لأهل البيت النبـــوى الشـــريف) توفـــى عـــام ٢٤٦هـ.

(٤) (قتيلة بنت النضر) شاعرة قرشية عاشت فى أيام النبى عليه الصـــلاة والسلام.

(٥) (كثير عزة) شاعر أموى من شعراء الغزل المعروفين توفـــى عـــام ١٠٥هـ.

(٦) هو (محمود بن الحسين) شاعر وصاف للطبيعة توفى عام ٣٢٠هـ من شعراء (سيف الدولة الحمدانى).

(٧) الغُوطة: بضم الغين: مجتمع النبات والماء، وغوطة دمشق: بســـاتين ذات أشجار وفاكهة وأنهار بالقرب من هذه العاصمة الشهيرة العريقة.

(٨) إحدى بلاد فارس الكبيرة وينسب إليها كثير من العلمـــاء والأدبـــاء أشهرهم أبو الفرج صاحب كتاب (الأغانى).

و(دِينَوَر) [١] بكسر الدال الممدودة وفتح النـــون والـــواو لبلـــدة بخراسان٠٠٠الخ ومن أفضل نماذج التوثيق ما نراه فى الكتـــب (المحقَّقة) لما تختص به من عناية فائقة مـــن محققيـــها، ومـــن مستوى رفيع فى خدمة موادها، وسنأتى لك بكلمة عن (التحقيق) فيما يقبل من الفصول إن شاء الله تعالى٠

---

(١) بلدة فى خراسان ينسب إليها كذلك كثير من الأفـــاضل فـــى العلـــم والأدب منهم: (ابن قتيبة) صاحب (أدب الكاتب) وهو (عبـــد الله بـــن مسلم) من أئمة اللغة والنحو والأديب (أبو القاسم عبـــد الله بـــن عبـــد الرحمن) شاعر كاتب٠

البابُ الثَّالِثُ

(التوثيقُ) تراثٌ إِسْلَامِيٌّ أَصِيلٌ وَمَنْهَجٌ عِلْمِيٌّ
عَرَبِيٌّ عَرِيق

(تمهيد)

إذا كان التوثيق ـ كما أسلفنا ـ يعنى تأكيدَ صحةِ إسنادِ الشى إلى صاحبه، ويعنى التمحيصَ القويَّ، والتحرىَ الشديدَ لكل ما يُعْرَضُ، وضبطَ الشيءِ الممحَّصِ شكلا وموضوعا، ووضعَ الشروطِ المكينة للوسائلِ التى تؤدى إلى تلك الغاياتِ، لقطع الشبهاتِ، وإزالةِ اللّبْس، ونفيِ مواطنِ الضعفِ وتوخِّى الوصول إلى اليقينِ الذى يَقْبلُهُ العقلُ، ويطمئنُّ إليه القلبُ، وتسكُنُ إليه النفسُ، جُهْدَ الطاقةِ، وغايةَ الوسعِ ـ فإن هذا الهدفَ الأسمى، وتلك الوسائلَ النبيلةَ، تراثٌ أصيلٌ فى ثقافةِ الأمةِ الإسلامية، ومنهجٌ عريق لعلومِنا العربيةِ، وصلتْ إلينا وإلى البشرية منذ أربعةَ عشرَ قرنا من الزمان، مع إشراقِ الإسلامِ على هذه الدنيا، وسطوعِ ضوءِ القرآن الكريم.

وقد اعتمد هذا المنهجُ على قاعدتين متينتين هما: (التوجيهاتُ الإلهيةُ) (والجهودُ البشرية):

وعلى هاتين القاعدتين الصُّلْبَتَيْن ارْتَكَزَ توثيق (القرآن الكريم)، وتوثيق (العلوم الإسلامية) كما سيجيء تفصيله فى الفصلين التاليين من هذا الباب، وفى الفصل الأول من الباب الرابع.

الفصل الأول

القرآن الكريم أعظم كتاب موثق في تاريخ البشرية

جاءت (التوجيهات الربانية) واضحة مع أول سورة نزلت من القرآن الكريم[١] وهى توجه إلى المحافظة على هذا الكتاب الكريم[*]، ونصوصه المباركة، وآياته البينات كما سنبين، ثم تتابعت التوجيهات بعد ذلك إلى هذا الهدف السامى فى زهاء أربعين موضعا من القرآن العظيم[٢].

وأما (الجهود البشرية) فتمثلت فى استجابة واعية من جانب الأمة الإسلامية للتوجيهات الإلهية آتتْ أُكُلَهَا (أوَّلاً) فى(صَوْنِ نَصِّ القُرْآنِ الكريمِ وحفظِهِ على أتمّ صورة وأكمل وجه) وأعطتْ جناها (ثانيا) فى اصطفاءِ هذه الأمة لهذا الدرس القيم، وتطبيقِهِ على(حِفْظِ وتوثيق ما نشأ بعد ذلك من علوم جَمَّة، شَكَّلَتْ بناءَ الثقافةِ العربيةِ والحضارةِ الإسلامية) وعلى رأسها علومُ السنةِ المطهرة والحديثِ الشريف، والسيرةِ الكريمة.

وإليك توضيحا لما أجملناه عن هاتين القاعدتين الراسختين:

١-فى جانب (التوجيهات الإلهية) للمحافظة على(النص القرآنىّ)

جاء أول هذه التوجيهات فى قوله تعالى :"اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم" إنها أول سورة أنزلها الله تبارك وتعالى وحيا من عنده إلى عبده ونبيه (محمد) عليه السلام بوساطة أمين الوحى (جبريل)، ونلاحظ أن أول كلمة من هذه السورة تصافح سمع النبى الموحى إليه،

---

(١) هى سورة (العلق).

(*) إذْ هو قِوام حياة الأمة الإسلامية دِيْنا ودنيا، علما وفكرا، ومناط عزها، وصلاح أمرها فى الدارين.

(٢) راجع (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) مواد: قرأ ذكر، تلا، رتل.

طلب واضح، وفرض واجب فى صورة (أمر) صريح (موجه من الله إلى رسوله أول المتلقين للقرآن من البشر والمكلف بتبليغه للعالمين) حيث أمره ربه (بالقراءة) التى هى باب (الفهم والحفظ) وكرر المولى سبحانه الأمر بالقراءة بعد جملة واحدة تأكيدا للأمر الأول وإلزاما بهذه (الوسيلة الشفهية المؤدية إلى حفظ النص الشريف (فى الصدور)، وهذا (الحفظ المتمكن) الناشئ من تكرار القراءة والمراجعة وطول المعاودة والعرض، هو (الوعاء الأول) للقرآن وانتقاله بهذه الصفة من النبى لأصحابه، ومن الصحابة لأولادهم والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين هو الدعامة الأساسية الأولى لتوثيق القرآن الكريم.

وتلا ذلك مباشرة ذكر الله تعالى: (التعليم بالقلم) وجعله نعمة وتكرُّما منه جل شأنه على الإنسان، ليلفت نظره، ويوجهه إلى الكتابة واستعمال (القلم) فى حفظ الوحى الإلهى، وتدوين سوره وآياته، فتتم للقرآن بذلك ــ بعد الوسيلة الشفهية ــ (وسيلة تحريرية) هى (الحفظ فى السطور)، فتكون (الكتابة والتدوين) بتوجيه من الله تعالى هى (الوعاء الثانى) للقرآن الكريم، ويكون الاهتمام بهذا المكتوب، وجمعه ونسخه ونشره، هو الدعامة الأساسية الثانية لتوثيق القرآن الكريم.

ولعل مما يلفت النظر ويؤكد ما سبق أن الله ــ عز اسمه ــ سمى وحيه إلى رسوله محمد عليه السلام (القرآن) وهو مشتق من (القراءة) [١] كما سماه (الكتاب) وهو مأخوذ من (الكتابة).

---

(١) "قرأت الشئ قرآنا: جمعته وضممته بعضه إلى بعض ومنه سمى (القرآن) لأنه يجمع السور فيضمها "راجع الصحاح للجوهرى جـ١ ص٦٥ مادة: قرأ.

ونعرض عليك ـــ دعما لما سبق من كلامنا المتواضع فى تحليـل الآيات الأولى من (سورة العلق) ـــ كلام إمامين جليلين من أئمة الإسـلام فى تفسير هذه الآيات المباركات، ولعلك ترى أن الإشراقات الربانية فـى فهم القرآن الكريم ما زالت بحمد الله إلهاما وفقها يجريهما الحق تبـارك وتعالى على ألسنة وأقلام المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية إلى يـوم الدين.

يقول الإمام (الزمخشرى) فى تفسيره (الكشاف) [١] "اقرأ باسم ربك (محل "باسم ربك" النصب على الحال، أى اقرأ مفتتحا باسم ربك، أى قل بسم الله ثم اقرأ "..." خلق الإنسان "تخصيص للإنسان بالذكر من بيـن ما يتناوله الخلق، لأن التنزيل إليه، وهو أشرف ما علـى الأرض...[٢] "الأكرم" الذى به الكمال فى زيادة كرمه على كل كرم، ينعم على عبـاده النعم التى لا تحصى.. فما لكرمه غاية ولا أمد، وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة الفوائد العلمية، تكرم، حيث قال :"الأكرم الذى علـم بـالقلم علـم الإنسان ما لم يعلم"، فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلمـوا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل (علم الكتابة)، لمـا فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها إلا هو، وما دونت العلـوم، ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلـة إلا (بالكتابة)، ولولا هى لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لـم يكـن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلـم والخـط، لكفـى به..)أ.هـ.

---

(١) هو الإمام العلامة (محمود بن عمر الزمخشرى) المتوفى عام ٥٢٨هـــ واسـم تفسيره بالكامل: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجـوه التأويل) وراجع الجزء الرابع ص ٧٧٦ بتحقيق (مصطفـى حسـين أحمـد) ط. مطبعة الاستقامة بالقاهرة عام ١٣٦٥هـ ـــ ١٩٤٦م).

(٢) (....) هذه النقط إشارة إلى مواضع محذوفة من الشرح للاختصار.

ويقول الإمام (ابن كثير) فى كتابه: تفسير القرآن العظيم[1].

(فأول شئ نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهنَّ أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علق، وأن من كرمه تعالى: أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه (بالعلم) وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية (آدم) على الملائكة، والعلم تارة يكون فى الأذهان، وتارة يكون فى اللسان، وتارة يكون فى الكتابة، (ذهنى) و(لفظى) و(رسمى)[2] والرسمى يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال :"اقرأ وربك الأكرم* الذى علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم" وفى الأثر: قيدوا العلم بالكتابة...)أ.هـ.

---

(١) هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى عام ٧٧٤هـ وراجع الجزء الرابع من تفسيره ص٥٢٨ نشر مكتبة الدعوة الإسلامية عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

(٢) (رسمى) نسبه إلى رسم الحروف والكلمات، أى: خطى وكتابى.

ويجدر بنا أن ننوه بأن الله تعالى سمى القرآن كذلك باسمين ذوى دلالة واضحة هما: (الذكر) و(الفرقان)، فأما الذكر فيفيد مداومة (الاستحضار)، وهذا يؤدى إلى الحفظ فهو بذلك محصّن من النسيان، وأما (الفرقان) فمعناه البرهان والحجة، وكل ما فرق بين الحق والباطل، والقرآن حجة وبرهان على كل ما ورد فيه من أخبار وعقائد، ومواعظ وشرائع، وفارق بين الحق والباطل، والضلال والهدى إلى يوم الدين.

وقبل أن نختم القول فى مجال (التوجيهات الإلهية) لتوثيق القرآن الكريم نشير إلى أن المولى سبحانه قد وثق القرآن أيضا بالعديد من وجوه التوثيق الأخرى، ومن ذلك:

١-توثيق حقيقة القرآن الكريم وقيمته:

بمثل قوله تعالى :"كتاب أُحكمتْ آياتُهُ ثم فُصِّلتْ من لَدُنْ حكيم خبير"[١] وقوله :"وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"[٢] وقوله تعالى فى أول سورة الكهف :"الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما..." وقوله :"إنه لقرآن كريم ــ فى كتاب مكنون ــ لا يمسه إلا المطهرون"[٣] وقوله :"بل هو قرآن مجيد ــ فى لوح محفوظ"[٤] وقوله: (وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ــ لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين"[٥].

---

(١) سورة هود آية ١ .

(٢) سورة فصلت: آيتا ٤٣،٤١ .

(٣) سورة الواقعة آيات ٧٩،٧٨،٧٧ .

(٤) سورة البروج آيتا ٢٢،٢١ .

(٥) سورة يس آية ٧٠،٦٩ .

٢-توثيق وتأكيد نسبة القرآن إلى الله تعالى:

بمثل قوله :"إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا"[١] وقوله "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[٢] وقوله :"تبارك الذى نزل الفُرْقَانَ على عبده ليكون للعالمين نذيرا"[٣] وقوله :"وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم[٤]

٣-توثيق رسول الوحى (جبريل) عليه السلام:

فى قوله تعالى :"إنه لقول رسول كريم• ذى قوة عند ذى العرش مكين• مطاع ثَمَّ أمين"[٥] وقوله :"علمه شديد القوى• ذو مِرَّةٍ فاستوى• وهو بالأفق الأعلى• ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى• فأوحى إلى عبده ما أوحى"[٦] وقوله :"قل نزّله روحُ القدسِ من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين"[*] وقوله تعالى :"وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين• على قلبك لتكون من المنذرين• بلسان عربى مبين" [**] وقوله :"قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين"[٧]•

---

(١) سورة الإنسان آية:٢٣ •
(٢) سورة الحجر آية: ٩ •
(٣) سورة الفرقان آية:١ •
(٤) سورة النمل آية: ٦ •
(٥) سورة التكوير آيات ١٩،٢٠،٢١ •
(٦) سورة النجم آيات: ٥، ٦، ٧، ٨، ٩ •
(*) سورة النحل آية:١٠٢ •
(**) سورة الشعراء الآيات من:١٩٢ــ١٩٥ •
(٧) سورة البقرة آيتا٩٧،٩٨ •

٤-توثيق الموحى إليه من البشر (محمد) عليه السلام:

بمثل قوله تعالى :"لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين"[١] وقوله :"ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبين"[٢] وقوله :"وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل"[٣] وقوله :"وما صاحبكم بمجنون"[٤] وقوله :"تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين"[٥] وقوله :"يس٠ والقرآن الحكيم٠ إنك لمن المرسلين٠ على صراط مستقيم٠ تنزيل العزيز الرحيم"[٦] وقوله :"الله أعلم حيث يجعل رسالته"[٧] قوله: (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون٠ بل جاء بالحق وصدق المرسلين"[٨] وقوله: "فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون٠ إنه لقول رسول كريم٠ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون٠ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون٠ تنزيل من رب العالمين"[٩] وقوله تعالى :"والنجم إذا هوى٠ ما ضل صاحبكم وما غوى٠ وما ينطق عن الهوى٠ إن هو إلا وحى يوحى"[١٠]٠ وقوله :"رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة" (البينة٢)٠

---

(١) سورة آل عمران آية:١٦٤ ٠

(٢) سورة الأحزاب آية:٤٠ ٠

(٣) سورة آل عمران آية:١٤٤ ٠

(٤) سورة التكوير آية:٢٢ ٠

(٥) سورة البقرة آية:٢٥٢ ٠

(٦) سورة يس الآيات من ١-٥ ٠

(٧) سورة الأنعام آية:١٢٤ ٠

(٨) سورة الصافات آيتا: ٣٦،٣٧ ٠

(٩) سورة الحاقة الآيات من ٣٨ ــ ٤٣ ٠

(١٠) سورة النجم الآيات:١-٤ ٠

٥-تأكيد صحة النص القرآني وصونه عن التغيير وعن التحريف:

بمثل قوله تعالى :"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"[١] وقوله تعالى :"لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إنه علينا بيانه"[٢] وقوله :"وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائتِ بقرآنٍ غيرِ هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم"[٣] وقوله تعالى :"ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين. وإنه لتذكرة للمتقين... (إلى قوله تعالى) وإنه لحق اليقين"[٤] وقوله تعالى :"كلا إنها تذكرة. فمن شاء ذكره. في صحف مكرمة. مرفوعة مطهرة ــ بأيدي سَفَرَة ــ كرامٍ بَرَرَة"[٥]. وقوله تعالى: "سنقرئك فلا تنسى"[٦] وقوله تعالى :"واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا"[٧].

---

(١) سورة الحجر آية: ٩ .

(٢) سورة القيامة الآيات من:١٦ -١٩ .

(٣) سورة يونس آية:١٥ .

(٤) سورة الحاقة الآيات من: ٤٤ -٥٢ .

(٥) سورة عبس الآيات من ١١ - ١٦ .

(٦) سورة الأعلى آية: ٦ .

(٧) سورة الكهف آية:٢٧ .

الفصل الثانى

٦-توثيق صدق النص القرآنى بالتدليل والبرهنة:

أ) (الأدلة المنطقية):

وجاءت فى مثل قوله تعالى :"أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"[١] وقوله :"أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"[٢] وقوله تعالى :"وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا"[٣] وقوله تعالى :"أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين"[٤] وقوله تعالى :"قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"[٥] وقوله تعالى: "وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون. بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون"[٦] وقوله :"ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين"[٧].

ب)(الأدلة التاريخية):

بما أتى فى القرآن الكريم من أخبار الأولين، وقصص المرسلين، وأنباء الأمم الخوالى مما يطول القول إذا استشهدنا له فهو مبثوث فى

---

(١) سورة (محمد) آية/٢٤ .
(٢) سورة النساء آية:٨٢ .
(٣) سورة الفرقان آية:٣٢ .
(٤) سورة الطور آية:٢٤ .
(٥) سورة الإسراء آية:٨٨ .
(٦) سورة العنكبوت آيتا٤٨، ٤٩ .
(٧) سورة النحل آية:١٠٣ .

معظم سورة الشريفة، وهو أصدق ما جاء عنهم فى المتاح للبشرية من التاريخ الصحيح "ومن أصدق من الله قيلا"[١] ومن أصدق من الله حديثا"[٢].

ج) (الأدلة الغيبية المستقبلية):

بالإخبار فى القرآن عما سيأتى من الغيب ومن ذلك:

١-إخباره بنصر (الروم) على (الفرس) فى بضع سنين بعدما غَلَبَ الفرس الروم وكلا الحدثين تم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، وذلك إذ يقول القرآن الكريم "ألم* غُلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سَيَغلبون* فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون* بنصر الله بنصر من يشاء وهو العزيز الرحيم* وَعْد الله لا يخلف الله وعده....."[٣].

وكانت (الفرس) قد حاربت (الروم) فى أطراف الشام وهزمتْهم حوالى عام ٦٢٠م (قبل الهجرة بعامين) وفرح مشركو مكة لأن الفرس مجوس وأهل وثنية وشرك مثلهم، والروم نصارى وأهل كتاب سماوى كالمسلمين، واعتبروه فألاً حسنا بنصرهم على المسلمين، وحزن لذلك المسلمون، فبشر الله نبيه والمسلمين فى القرآن بأن الروم سيهزمون الفرس فى بضع سنين (أى فيما بين ثلاث إلى عشر سنين)، وتحقق ما أخبر به الله عز وجل، وتم نصر الروم على الفرس عام ٦هـ[٤] الموافق لـ٦٢٨م، أى بعد ثمانية أعوام من الحدث الأول ففرح المسلمون، واغتم المشركون، وصدق وعد الله.

---

(١) سورة (النساء) آية:١٢٢ .

(٢) سورة النساء آية:٨٧ .

(٣) سورة (الروم) الآيات من: ١-٦ .

(٤) وهو عام صلح (الحديبية) بين النبى وقريش.

قال الإمام (الزمخشرى) [١] ــ صاحب تفسير الكشاف ــ فى ختام تفسيره للآيات الكريمة :"وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله، لأنها إنْباء عن علم الغيب الذى لا يعلمه إلا الله. ".هـ.

٢-الإخبار بهزيمة مشركى قريش فى (بدر) قبل وقوعها بعدة سنوات وذلك فى قوله تعالى فى (سورة القمر) "أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر"[٢] ــ وهذه الآيات نزلت فى (مكة) قبل الهجرة، وكان المسلمون مستضعفين ولم يحاربوا المشركين حتى قال (عمر بن الخطاب) بعد نزولها: أَىّ جمع سيهزم؟

ولما وقعت غزوة (بدر) بعد الهجرة بعامين، تحقق ما قاله القرآن الكريم من هزيمة جمع قريش، وتوليهم الأدبار، حيث قتل المسلمون منهم سبعين رجلا، وأسروا سبعين، عندئذ قال (عمر) رضى الله عنه "الآن عرفت تأويلها".

وهناك وقائع أخرى فى هذا الباب، لا نطيل بذكرها، ولكن نشير إلى اثنتين منها إشارة سريعة.

٣-تحقيق رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ ورؤيا الأنبياء من الوحى ــ أنه سيدخل المسجد الحرام مع أصحابه معتمرين آمنين قبل فتح مكة[٣] وقد تحقق ذلك فى (عمرة القضاء) عام ٧هـ، ويقول الله

---

(١) راجع تفسير الكشاف جـ٣ صـ٤٦٦ عند تفسير أول سورة الروم، وراجع كتب التفسير وكتب التاريخ والسيرة فى قصة هذا الحدث التاريخى لتقف عليه بتمامه وتفاصيله.

(٢) الأيتان ٤٤،٤٥ ، وراجع كتب التفاسير.

(٣) كان فتح مكة عام ٨هجرية.

تعالى فى ذلك :"لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون..."[١].

٤-تحقق وعد الله لنبيه وللمؤمنين بظهور الإسلام ونصر المسلمين على أعدائهم الكافرين من المشركين وأهل الكتاب نصرا عزيزا حاسما، وكان هذا الوعد والمسلمون فى مرحلة الدفاع عن أنفسهم، والمشركون وحلفاؤهم فى قوة تهدد المسلمين بالاستئصال، فما هى إلا سنوات معدودات حتى تحقق وعد الله فى أروع صورة، فقبل أن ينتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى دانت جزيرة العرب كلها للمسلمين، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، وبعد وفاته عليه السلام بأعوام قليلة فتح الله على الصحابة بلاد كسرى وقيصر، فى نصر لم يعرف التاريخ له مثيلا.

واقرأ فى ذلك من كتاب الله قوله تعالى :"هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا"[٢] وقوله :"وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا..."[٣].

د) (الأدلة الكونية والعلمية):

القرآن الكريم بسوره وآياته هو كتاب الله (المقروء)، والكون بأرضه وسمائه هو كتاب الله (المشاهد) المنظور، وليس بينهما اختلاف بل انسجام تام لأنهما معا من عند الله، ولذلك فلا عجب أن نرى كل

---

(١) سورة الفتح آية:٢٧.

(٢) سورة (الفتح) آية:٢٨ .

(٣) سورة (النور) آية:٥٥ .

حقيقة علمية أثبتتها التجارب والنظريات العلمية الصحيحة، لا عجب أن نراها موافقة تماما لما جاء عنها فى القرآن الكريم.

فالقرآن الكريم قد نزل لكل العصور إلى أن تقوم الساعة، وعصرنا الحديث هو العصر الذى ظهر فيه كثير من المكتشفات العلمية المثيرة التى لم يكن للناس بها عهد قبل هذا العصر الحديث فى مجالات كثيرة كالفلك والطب وعلم طبقات الأرض (الجيولوجيا) وعلم الأحياء من حيوان ونبات، وعلوم البحار ...الخ.

فإذا تحدث القرآن عن بعض هذه الحقائق الكونية، (منذ أربعة عشر قرنا من الزمان)، وجاء العلم الحديث (اليوم) موافقا لما فى القرآن الكريم، ومثبتا ومقررا إياه، فإن هذا دليل لا يرقى إليه الشك على أن القرآن كتاب الله حقا، وأن محمدا رسول الله صدقا، وهذا (توثيق) ربانى للقرآن الكريم متجدد إلى يوم الدين.

وإليك بعض ما جاء فى القرآن الكريم من تلك الحقائق الكونية والعلمية:

<u>١-الإشارة إلى (كروية الأرض):</u>

فى قوله تعالى :"والأرض مددناها"[١] فالجسم الوحيد الممدود إلى ما لا نهاية هو الجسم الكروىّ مهما كانت نقطة البداية.

وفى قوله تعالى: (لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار"[٢] ولا يتأتى هذا إلا مع الجسم الكروى إذ الليل والنهار يوجدان عليه معا، أحدهما فى نصف منه والثانى فى النصف الآخر

---

(١) سورة (الحجر) آية ١٩ .

(٢) سورة (يس) آية ٤٠ .

ويتعاقبان عليه بانتظام تشير إليه آيات أخرى منها قوله تعـالى :"يولـج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل"[١].

٢-التنبيه إلى أن الله خلق الكون فى أول الأمر ملتحما ثم فصـل أجزاءه بعضها عن بعض فى قوله تعالى "أولم يـر الذيـن كفـروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما"[٢] وهذه حقيقة لـم يـهتد العلـم البشرى إليها إلا حديثا، فقرأنا عن (المجموعة الشمسية) وكيف كانت كتلة واحدة، ثم تفككت إلى شمس وقمر وكواكب، تدور كلها بنظام معيـن لا اختلاف فيه، وصدق الله العظيم "وكل فى فلك يسبحون"[٣].

٣-ذكر أطوار (خلق الإنسان) وهو جنين فى بطن أمه فى قولـه تعالى :"ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقة* فخلقنا العلقة مضغـة* فخلقنـا المضغـة عظاما* فكسونا العظام لحما* ثم أنشأناه خلقا آخر* فتبارك الله أحسـن الخالقين"[٤].

وهذا أدق وأوفى بيان لهذه الأطوار، وما عرفـها العلمـاء فـى العصر الحديث إلا بعد الاستعانة بوسائل الفحص الحديثة.

٤- الإشارة إلى (وسائل الانتقال) الحديثة التى لم تكن موجـودة قبل العصر الحديث، وذلك فى قوله تعالى :"والخيل والبغـال والحمـير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون"[٥] ففى الجملة الأخيرة مـن الآيـة

---

(١) سورة (فاطر) آية ١٣ .

(٢) سورة (الأنبياء) آية ٣٠ .

(٣) سورة (يس) آية: ٤٠ .

(٤) سورة المؤمنون: الآيات من ١٢ ــ ١٤ .

(٥) سورة النحل آية: ٨ .

الكريمة، وهى مؤلفة من (أربع كلمات) إشارة واضحة إلى ما جد فى عصرنا الحديث من وسائل انتقال برية حديثة، وتنحصر فى أربعة أنواع هى:

أ)السيارات وما يشبهها من الوسائل الحرة غير المقيدة.

ب)القطر المقيدة باتجاهات معينة وطرق معينة من (القضبان الحديدية).

جـ) الطائرات التى تنطلق فى الجو إلى علو محدود لا تتعداه.

د) الصواريخ التى تحمل المركبات الفضائية إلى آفاق أبعد ومجالات لا تبلغها الطائرات[١].

فالجملة القرآنية فيها إجمال يدخل تحته هذا التفصيل الذى ذكرناه، وأكثر منه فيما لوجدت فى المستقبل وسائل انتقالٍ وحَمْلٍ أخرى يهتدى إليها الإنسان بإذن وعون من الله تعالى.

ويؤيد ما سبق، ما جاء فى بيان معنى هذه الآية الكريمة للأستاذ العلامة (محمد فريد وجدى) فى كتابه (المصحف المفسر) حيث قال[٢]: "ويخلق لكم ما لا تعلمون من تسخير قوى البخار والكهرباء وغيرهما، وهذه من أغرب معجزات القرآن فإن فيه تنبؤا صريحا بما اخْتُرِع فى القرنين التاسع عشر والعشرين (الميلاديين)[٣] "أ.هـ.

ويطول القول بنا لو حاولنا تتبع ذلك فى القرآن الكريم واستقصاءه فهو كثير ولقد ظهرت فى موضوع (الإعجاز العلمى للقرآن) كتب خاصة

---

(١) من فضل الله على المؤلف أنه لاحظ التناسب العددى بين كلمات جملة "يخلق ما لا تعلمون" وعدد وسائل الانتقال الحديثة، فكلاهما أربع.

(٢) المصحف المفسر ط.دار المعارف بمصر عام ١٩٨٦م ص٣٤٦ .

(٣) (   ) ما بينهما زيادة من عندنا للتوضيح.

لنخبة ممتازة من علماء المسلمين فى إلعصر الحاضر، نحيل عليها من أراد الاستزادة،

ولكنا نختم هذا الجانب من توثيق الله تعالى كتابه العزيز (بالأدلة الكونية) بتلخيص ما جاء فى مقال طريف نشر قريبا جدا فى إحدى المجلات الإسلامية بمصر(١) عن وجوه من الإعجاز العلمى المذهل فى الآيات القرآنية التى تحدثت عن (البحار) ــ والمقال تلخيص لمحاضرة ألقاها فى (مسجد الفتح) بالقاهرة الأستاذ (ماهر الصوفى) الباحث الإسلامى، وتناول فيها (تسعا وثلاثين آية) تتحدث عن البحر فى القرآن الكريم كل منها معجزة منفردة، ذكرت المجلة منها (أربع آيات) ونحن نذكر منها (ثلاثا فقط) خشية الإطالة.

أولا: ما معنى البرزخ؟:

فى قوله تعالى "مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان(٢)" يقول الأستاذ (ماهر الصوفى):

"فالمقصود هنا البحران المالحان وليس البحر والنهر كما فسرها الأقدمون فكلمة يلتقيان أى يتقاربان دون حدوث احتكاك أو اصطدام بينهما، والبرزخ هو الحاجز حتى لا تختلط مياه كل بحر بالآخر، فبعد أربعة عشر قرنا من التساؤل حول وجود هذا الحاجز، أنبأ العلماء أن البحرين المالحين هما: (البحر الأبيض المتوسط) و(المحيط الأطلسى) اللذان يلتقيان عند (جبل طارق) وقد جاءت بعثة علمية من أكاديمية البحار، وظلت مدة طويلة ــ بالاستعانة بأشهر علماء البحار ــ تدرس

---

(١) مجلة (اللواء الإسلامى) عدد الخميس ٢٨ من رجب ١٤١٦هـ ٢١ من ديسمبر ١٩٩٥م.

(٢) سورة (الرحمن) آيتا: ١٩، ٢٠.

سِرّ وجود هذا الحاجز الذى حيرهم طويلا وبخاصة أنهم وجـــدوا عنـد تصويرهم لالتقاء البحرين لونا ثالثا مختلفا عن لونى البحرين الســابقين، وهنا اكتشفوا وجود (بحر ثالث) يقع ما بين البحرين عرضه ١٥ (خمسة عشر) كيلو مترا، وهو يمثل نوعا من المياه مختلفا تمامـــا عــن ميــاه (الاطلنطى) و(المتوسط) فى درجة كثافته وملوحته، وأصدافه ومرجانــه وجميع خصائص. وهنا أخرج العلماء (ثلاث عينات) من تلـــك البحــار الثلاثة، وأجروا عليها عملية (خلط) على ظهر السفينة، فاختلطت الميــاه على رغم أنها لا تختلط فى البحر!! مع أن العلماء يؤكدون أنه ليس هناك قانون يمنع اختلاط ذرات المياه المالحة أن تختلط بعضها ببعـض، إلا أنّ قانون الله لا يخضع للقوانين!!

ثانيا: عن البحر المسجور:

فى قوله تعالى :"والطور * وكتاب مسطور * فـــى رق منشـــور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع* والبحر المسجور"[١]. يقول :"فالبحر المسجور" هو البحر (المشتعل نارا) والذى حير العلماء كثـــيرا، وكـــانوا يسألون عنه البحارة دائما، ولم يستطع علماء التفسير السابقين تفسير هذه الآية على الوجه الصحيح علميا، حتى استطاع العلـــم الحديـــث كشـــف أسرارها، ففى عام ١٩٤٠م[٢] لاحظت أول غواصة تنزل إلـــى أعمـــال (البحر الأحمر) [٣] أن هناك فتحات من النار تخرج على شكل شقوق من قاع البحر، وأن ألسنة اللهب والحمم تتصاعد إلى أعلى!، وبعـــد انتـــهاء الحرب العالمية الثانية تم تجهيز غواصات بأحدث (تكنولوجيا)، ومـــزودة

---

(١) سورة (الطور) الآيات من ١-٦ .

(٢) فى أوائل الحرب العالمية الثانية.

(٣) من ناحية جنوبية.

بعدسات خاصة للتصوير فى أعماق البحر ـ خاصة (الأحمر والمحيط الهندى) فَوُجِدَ أن هناك شقوقا يصل بعضها إلى أكثر من ثلاثة كيلو مترات، تخرج منها نيران وحمم براكين، ولا تستطيع المياه (الهائلة) إطفاءها !! وأقربها يبعد عن سطح البحر بحوالى (٢ كيلو متر) اثنين من الكيلو مترات.

<u>بركان عدن: ملحق بمنطقة البحر المسجور).</u>

وهذا دليل واضح على صحة القرآن الكريم وإعجازه، لأنه فى عهد الرسول الكريم لم تكن هناك غواصات، ولا يستطيع الإنسان أن ينزل أكثر من ثلاثين مترا فى قاع البحر لأنه سوف يتمزق جسده بعد ذلك وهنا نتذكر حديث النبى صلى الله عليه وسلم :"لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض (عدن) تطير لها أعناق الإبل" ـ والعلم الحديث أثبت أن مدينة (عدن) تعيش فوق بركان هائل من الحمم قابل للانفجار فى أية لحظة، ولذلك ينصح العلماء سكان (عدن) بمغادرتها خوفا من انفجارها، وذلك لأن مدينة عدن تقع على رأس (مضيق باب المندب) حيث يلتقى البحران (الأحمر والهندى[١]) وهى منطقة كلها أخاديد وشقوق من النار".

<u>ثالثا: موج من فوقه موج:</u>

ويتعرض الأستاذ (ماهر الصوفى) لتفسير آية أخرى من آيات البحار فى القرآن الكريم هى قوله تعالى :"أو كظلمات فى بحر لُجِّىٍّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها"[٢] ـ فيقول :"وقد احتار علماء التفسير فى

---

(١) المحيط الهندى .

(٢) سورة النور: آية ٤٠ .

هذه الآية أيضا، لأنه من المعروف أن البحر له موج واحد، وقد فكَّ العلماء المحدثون هذا اللغز عندما توصلوا إلى أن البحار (الإسكندنافية)[١] ــ وهى بحار عميقة، يزيد عمقها على ألفى متر ــ بها موج داخلى على بعد (من مائتين إلى خمسمائة متر) من سطح البحر وهذا الموج يشبه الموج الخارجى الذى على السطح وقد أشارت الآية الكريمة إلى وجود الموجين، أما (الظلمات) فخاصة بالموج الثانى وما تحته، إذا الموج الأول (الخارجى) تدخله أشعة الشمس نهارا وتعكس مياهه أشعتها ويصل ضوؤها إليه وفيه ضعف فلا يكون حالك الظلام، أما الموج الثانى (الداخلى) فتتبدد الأشعة عنده تماما وتكون هذه المنطقة من البحر اللُّجِّىِّ حالكة الظلام شديدة السواد، ولا يمكن للمرء أن يرى يده فيها أبدا، وهذا ما لم يستطع العلماء التوصل إليه إلا فى بداية القرن (العشرين) (الميلادى الموافق لبدايات القرن الرابع عشر الهجرى)[٢]، وذلك دليل واقع على معجزة القرآن الكريم فيما أخبر به عن هذه القضايا العلمية فى (عالم البحار) التى ظلت محيرة للعلماء لعدة قرون متواصلة.

"انتهى ما توخينا نقله إليك من هذا المقال الذى لخص لنا تلك المحاضرة القيمة، جزى الله صاحبها الباحث العلامة خير الجزاء، ولعلك وجدت فيها مزيدا من (توثيق الله القرآن الكريم) بالأدلة الناصعة، والمعجزات الباهرة وقد آن لنا بعد هذا التطواف مع (التوجيهات الإلهية) والتوثيق الربانى أن ننتقل إلى (القاعدة الثانية) التى ارتكز عليها منهج التوثيق العربى الإسلامى، وهى (الجهود البشرية).

---

(١) المواجهة لشواطئ (النرويج) فى شمال غرب القارة الأوربية.
(٢) ما بين القوسين المميزين (٠٠٠) من عندنا للتوضيح.

٢-وأما (الجهود البشرية)فتتمثل فيما قام به النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان من أجل توثيق (نص القرآن الكريم ومتنه الشريف) وصونه من أى تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقص، وذلك على النحو التالى:

(جمع القرآن وترتيبه وتدوينه)

نزل الروح الأمين (جبريل) عليه السلام بالقرآن من عند الله تبارك وتعالى على النبى الأمين محمد عليه الصلاة والسلام على مدى (ثلاثة وعشرين عاما) من بعثته إلى وفاته[1] منها ثلاث عشرة سنة بمكة قبل الهجرة، وسور هذا العهد وآياته تسمى (مكية)، وعشر سنين بالمدينة بعد الهجرة، وسور هذه المدة وآياتها تسمى (مدنية) وكان نزول القرآن منجما (أى مفرقا) ليثبت الله به قلب النبى، وليسهل حفظه عليه وعلى المسلمين ويعالج به المشكلات والحوادث، ويسن التشريع لحاجات المجتمع على سنن التدرج رحمة بالأمة، حتى تم التشريع وكمل الدين قبيل وفاة الرسول عليه السلام.

وعدد سور القرآن ١١٤سورة (مائة وأربع عشرة) وهو مقسم إلى (ثلاثين جزءا) كل جزء فيه (حزبان) وكل حزب مكون من أربعة أرباع، فأحزابه (ستون)، وأرباعه (مائتان وأربعون) أما عدد آياته (فستة آلاف ومائتان وستة وثلاثون آية)٦٢٣٦[*].

وقد جمع القرآن الكريم ورتبت سوره وآياته على أكمل وجه وأتم صحة على ثلاث مراحل يدعم بعضها بعضا هى:

---

(١) بعث عليه السلام على رأس الأربعين من عمره وتوفى فى تمام الثالثة والستين.

(*) راجع التعريف بالمصحف الشريف فى آخر كل مصحف.

أولا: في عهد النبي عليه الصلاة والسلام:

كانت السورة أو الآية تنزل على النبي فيحفظها في صدره ويتلوها على أصحابه فيحفظونها في صدورهم، ويأمر كتاب الوحي[١] بكتابتها على ما تيسر من جلد أو ألواح حجارة أو كرانيف نخل عريضة أو عظام من أكتاف الإبل، وتحفظ في بيته عليه السلام، وبعض الصحابة يكتبون لأنفسهم ويحفظونه في بيوتهم[٢]، وكلما نزلت سورة أو آية دل النبي أصحابه على مكانها وترتيبها على حسب ما تلقى من جبريل عن الله تعالى، ويقرأ النبي في الصلوات الجهرية (الصبح والمغرب والعشاء) ما يتيسر له من السور ويسمعه أصحابه، ويتابعونه في التلاوة والترتيل، فيثبت حفظهم للقرآن يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وعاما بعد عام، وأحيانا كان بعض الصحابة يقرأ القرآن في غير الصلاة، ويسمع النبي ومن معه هذه التلاوة[٣] وأحيانا كان الصحابة يجتمعون في المسجد في غير أوقات الصلاة (يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم) ويبشرهم الرسول "بأن رحمة الله تغشاهم وأن الملائكة تحفهم وأن المولى عز وجل يذكرهم في ملأ عنده"، وأحيانا كان النبي عليه السلام يقرأ في صلاة التطوع ليلا سورا كاملة كبيرة كالبقرة وآل عمران وخلفه بعض أصحابه يسمعون ويقرؤن بقراءته الشريفة[٤] وكانت هناك (حوافز) لحفظة القرآن،

---

(١) من أشهرهم، عثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم.

(٢) كالصحيفة التي كانت مع الصحابي (خباب بن الأرث) والتي كان يقرئها (سعيد بن زيد) وزوجه (فاطمة بنت الخطاب) في قصة إسلام (عمر بن الخطاب) رضي الله عنهم وكان في الصحيفة سورة (طه) راجع البداية والنهاية لابن كثير العدد ١٢ من طبعة دار الغد العربي بالقاهرة ص ٩٦ .

(٣) منهم (أبو موسى الأشعري) وكان حسن الصوت ومنهم (عبدالله بن مسعود) الذي قال له النبي عليه السلام "إني أحب أن أسمعه (أي القرآن) من غيري" وارجع إلى هذين الحديثين وأمثالهما في كتب السنة كالبخاري ومسلم.

(٤) وأحيانا كان يخطب على المنبر يوم الجمعة بسورة كاملة كسورة (ق) وسورة (الواقعة)، فيحفظها أصحابه من كثرة ما يرددها في خطبه.

منها أن يؤم الناس فى الصلاة، وأن يكون أميرهم فى سرية أو سفر أحفظهم للقرآن بل كان (مَهْر) بعض فقرائهم أن يحفظ زوجته ما يحفظه من القرآن٠

وفى شهر رمضان خاصة كان (جبريل) عليه السلام ينزل على النبى فيدارسه القرآن، وكانت كيفية المدارسة أن يقرأ جبريل مرة ويسمع النبى، ثم يقرأ النبى ويسمع جبرأيل٠ وفى آخر رمضان من حياة النبى سمع كل منهما من الآخر مرتين وتسمى هذه المدراسة أيضا (عرض القرآن)٠

وهكذا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول (عام أحد عشر) من الهجرة (١١هـ) الموافق عام٦٣٢ من الميلاد والقرآن الكريم فى وعائين مكينين (محفوظ فى الصدور) و(مكتوب فى السطور) على ما سبق بيانه من الأشياء المحفوظة فى بيته الكريم وبيوت أصحابه إلا أن هذا المكتوب لم يكن مجموعا فى مصحف واحد، أما المحفوظ فكان فى صدور المئات بل الآلاف من الصحابة بعضهم يحفظه كاملا (كعثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وأبى موسى الأشعرى وأبى بن كعب، وأبى الدرداء عويمر بن زيد ومعاذ بن جبل) وبعضهم يحفظ بعضه وهم سائر الأصحاب رضى الله عنهم٠

ثانيا: فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه:

فى أواخر عام ١١هـ وهو عام وفاة النبى ومبايعة أبى بكر بالخلافة حدثت (موقعة اليمامة) بين المسلمين وبنى حنيفة رهط (مسيلمة الكذاب)، وكانت من أعنف المواقع التى خاضها المسلمون ضد المرتدين، وأشدها هولا وضراوة، وقد استشهد فيها كثير من الصحابة، ومن حفاظ القرآن الكريم خاصة وكانوا يسمون (القراء) إذ كانوا ـ لقوة صلتهم

بكتاب الله ــ أحرص الناس على الجهاد فــي ســبيله، ونيـل الشــهادة، فيتقدمون الصفوف ويخاطرون بأنفسهم ابتغاء مرضاة ربهم، وقد بلغ عدد الشهداء من القراء فى هذه الوقعة زهاء خمسمائة شهيد[١]، وعندما علـــم أهل المدينة بذلك حزنوا عليهم، وخاف (عمر بن الخطـــاب) رضـــى الله عنه أن يذهب القرآن بموت حفاظه فأسرع إلى خليفة الرسول واقـــترح عليه أن يأمر بجمع القرآن (فى مصحف واحد) ليكون مرجعـــا للنـــاس فتردد أبو بكر فى أول الأمر ثم شرح الله صدره لهذا الأمر، فاســـتدعى (زيد بن ثابت) كاتب الوحى لرسول الله، وأحد الحفاظ المجيدين وكلفـــه بهذه المهمة الجليلة، فلبى النداء ونهض بالأمر، وأخذ يتتبعه ويجمعه مـــن الرقاع والأكتاف والعسب[٢]، وصدور الرجال مقارنا ذلك بمـــا حفظـــه وتعلمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبه على حسب الـــترتيب النبوى فى صحائف متصلة من أوله إلى آخره، فكانت هـــذه الصحـــائفُ أولَ جمع للقرآن الكريم بين اللوحين (الدفتين) وسماها الخليفة الصديـــق (المصحف) وظلت عنده حتى توفى رضى الله عنه، ثم عند الخليفة الثانى أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب رضى الله عنه) مدة خلافته حتى توفـــاه الله شهيدا ثم عند ابنته السيدة (حفصة) زوج رسول الله صـــدر خلافـــة عثمان رضى الله عنه.

ثالثا: فى عهد أمير المؤمنين الخليفة الثالث عثمان بـــن عفان:

ولما اتسعت الفتوح الإسلامية فى عهد ســـيدنا عثمـــان، وتفـــرق الصحابة فى البلاد والأمصار، أخذ أهل كل مصر[٣] فى تـــلاوة القـــرآن

---

(١) من ستمائة شهيدا استشهدوا فى هذه الموقعة الحاسمة.

(٢) العسب: جريد النخل يكشط عنه الخوص ويكتب على الجانب العريض منه.

(٣) المصر: المدينة والبلد الكبير.

بقراءة الصحابى الذى أقام بينهم، ولأن القرآن الكريم نزل على (سبعة أحرف) ــ أى وجوهٍ للقراءة فى بعض آياته ــ تيسيرا من الله تعالى على عباده لتعدد لهجات العرب ــ فقد اختلفت القراءة من مِصْرٍ إلى مصر(٢)، فأهل الكوفة أخذوا بقراءة (عبد الله بن مسعود) وأهل البصرة بقراءة (أبى موسى الأشعرى) وأهل حمص ودمشق بقراءة (المقداد بن الأسود) وأهل سائر الشام بقراءة و(أُبَىّ بن كعب) وكان أهل هذه البلاد إذا اجتمعوا فى الغزو أو موسم الحج اختلفوا فى القراءة وربما خَطَّأَ بعضُهم بعضًا، وتنازعوا ولاحظ ذلك صحابى كريم هو (حذيفة بن اليمان) ففزع إلى أمير المؤمنين عثمان، وقال له: أدرك الأمة يا أمير المؤمنين واجْمع المسلمين على مصحف واحد وقراءة واحدة حسما للخلاف، وتوقيا للنزاع وحفاظا على كتاب الله عز وجل. فاستجاب عثمان رضى الله عنه وعهد إلى مجموعة طيبة ممتازة من (كتاب الوحى) على عهد رسول الله[١]، على رأسهم (زيد بن ثابت) صاحب الجمع الأول فى خلافة (أبى بكر الصديقَ) عهد إليهم بنسخ القرآن الكريم فى عدة نُسخ موحدة الرسم والكتابة، فامتثلوا، وأقبلوا على هذا العمل متعاونين وكتبوا (ستةَ مصاحف) وسلموها إلى أمير المؤمنين عثمان فأرسل أربعة منها إلى الأمصار : (مكة) و(الكوفة) و(البصرة) و(الشام) وأبقى لأهل المدينة واحدا واختص نفسه بواحد وسمى هذا المصحف (بالمصحف الإمام) وأمر الناس باتباع قراءته ورسم كتابته، والتخلى عما عداهما، ومن أجل ذلك سمى خط هذا المصحف (بالرسم العثمانى) وقد اجتمعت عليه الأمة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها وهو الذى عليه

---

(١) هم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم. (٢) المِصْر: المدينة الكبيرة.

المصاحف من عهد (سيدنا عثمان) إلى يومنا هذا لم يتغير منه حرف واحد.

وهكذا ثبت بالتاريخ الصحيح والخبر المتواتر الوثيق، والدليل القاطع أن (مصحفَ عثمان) منسوخٌ من المصحف الذى جمع فى عهد (أبى بكر)، وأن هذا كُتِبَ مما أُخِذَ وتُلُقِّىَ من فم رسول الله، من فم الوحى، وحفظ فى(الصدور والسطور)وتم جمعه بين الدفتين فى نفس العام الذى توفى فيه رسول الله وهو عام ١١هـ مما لا يتيحُ أىَّ احتمالٍ ـ ولو كان ضئيلا ـ للخطأ أو النسيان، أو التحريف والتبديل لشئ من القرآن.

(مدى عناية الأمة بالقرآن بعد ذلك حتى عصر (المطبعة))

ومن مصحف (عثمان) رضى الله عنه، ونُسَخِهِ الستِّ، كتِبَتْ مئاتُ وألوفُ المصاحف، وعشراتُ ومئاتُ الألوف، مطابقةً للمصحف الإمام كلَّ المطابقة، وتفنَّنَ الخطاطون والنُّسَّاخُ على مرِّ العصور الإسلامية فى تجويد كتابةِ المصحفِ الشريف، حبا فى كلام الله، وقُرْبَى إليه سبحانه، بدافع من ذواتِ أنفسهم، وأحيانًا بتكليف من الخلفاء والسلاطين والأمراء الصالحين، حتى إن بعضَ نسخ القرآن كُتِبَتْ بماء الذهب على أفخر أنواع الورق، بمختلف الأحجام، وجُلِّدت أروع تجليد، وما زال كثير من هذه المصاحف محفوظا فى المتاحف والمكتبات الكبرى[1] شاهدا على مدى عناية الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم وحفظه فى أكمل وأبهى صورة، حتى جاء(عصرُ المطْبعةِ) فَطُبِعَتْ ملايين النسخ من (الكتاب العزيز) وتخصصتْ دور كثيرة فى طبعه ونشره فى أنحاء العالم الإسلامى، بل فى جميع أرجاء العالم ولا تزال كذلك إلى يوم الدين.

---

(١) كدار الكتب المصرية بالقاهرة والمتحف الإسلامى بها، وكذلك مكتبات ومتاحف (اسلام بول) وغيرها.

(ظهورُ وسائلَ أُخرى للحفظ):

أضف إلى ذلك ما جَدَّ من وسائلِ الحفظِ الحديثةِ من (الأسطوانات) و(شرائطِ التسجيلِ) المسموعة، التى سُجِّلَ عليها القرآن الكريم كاملاً وأُخِذَتْ منها ألوفُ النُّسَخِ، فسمع الناس فى مشارق الأرض ومغاربها (المصحف المرتَّل) و(المصحف المجوَّد) بأصوات المجيدين من قراء الكتاب الشريف وهذا كله، من صنع الله تعالى لكتابه العزيز تصديقاً لقوله سبحانه:

"إنا نحن نزلنا الذكرَ وإنا له لحافظون"(١)

وبهذا تم توثيق نص (القرآن الكريم) على أتم صورة وأكمل وجه.

---

(١) سورة (الحجر) آية:٩ .

البَابُ الرَّابِعُ

توثيق العلوم والفنون[١] الإسلامية

(١) كفنون الشعر من قصيد ورَجَزٍ، وفنون النثر من خطابة وقصص.

الفصل الأول

(بين الرواية الشفهية الصحيحة والتدوين):

وجاء بعد اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم دَوْرُ العلوم والفنونِ في التوثيق، وقد تلقاهما الناس أوّلاً بالروايةِ الشفهيةِ الصحيحةِ مِنْ حافظٍ ثِقةٍ عن حافظ ثقة، ولا تزال الرواية ترتقى بالسَّنَدِ حتى تصلَ إلى المصدرِ الأول، وهذه هى(المرحلة الأولى) من التوثيق، ثم جاء (التدوين) لهذه العلوم والفنون بعد ذلك بمدة فكان هو (المرحلة الثانية).

ويعتبر العصرُ الأمويُّ عصرَ (بدايةِ التدوينِ) للعلوم الإسلاميةِ التى نشأت فى عصر الإسلام بفضل النهضة الفكرية التى نتجتْ عن بعثةِ سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزولِ القرآن الكريم الذى دعا إلى العلم وكرَّم العلماء، فأقبل المسلمون بشغف على العلم والتعليم، وَممَّا اشتغلوا به (علومٌ شرعيةٌ) كالتفسيرِ والحديثِ والفقهِ والسيرةِ النبوية، و(علومٌ لغويةٌ) كالنحوِ والقراءاتِ، و(علومٌ أدبيةٌ) كالشعرِ والأمثالِ والحكمِ والخُطَبِ وَالقَصَصِ، و(علومٌ اجْتماعيةٌ) كالتاريخِ والأنسابِ والمغازى والسِّيَرِ، وكان المسلمون(قبل العصرِ الأموى)يتداولون هذه العلومَ ويمارسونها ويتدارسونها عن طريقِ التلقِّى والمشافهةِ(والحفظِ فى الصدور) دون تدوين، قصدًا منهم إلى عدم كتابة شئ غير القرآن الكريم، احتياطاً له،

وحذرًا من أن يختلطَ بكلامِ اللهِ تعالى شىءٌ غيْرُهُ، فلمَّا أُمِنَ ذلــك تَمَامًا بمرورِ وقتٍ كافٍ[١] على كتابةِ المصاحفِ وانتشارِها، كان قــد دخل(عصر بنى أمية)فبدأ التدوينُ فى كلِّ ما زالوا مِنْ تلك العلومِ التــى أشرنا إليها.

كما كان العصرُ الأموىُّ عصر (النمو والتطور) لبعض تلك العلوم الذى نشأ ضعيفا فى العصر السابق كعلم (النحو). وكانَ* عصرَ النشــأةِ لعلومٍ إسلاميةٍ جديدةٍ (كعلمِ الكلامِ) و(علومٍ كونيةٍ) كعلم الفلــكِ والطــبِّ والكيمياءِ، وعصرَ (بدايةِ الترجمةِ) والنقلِ فى هذه العلوم الكونيــةِ عــن الثقافاتِ الأجنبيةِ القديمةِ وكان لهذه العلوم كلِّها مراكزُ ازدهرتْ فيها ومن أهمها (الكوفةُ) و(البصرةُ) فى العراق، و(مكةُ) و(المدينةُ) فى الحجــاز، و(دمشقُ) فى الشام، و(الفسطاطُ) فى مصر، وقد شاركَ فى نهضةِ الحيــاةِ العلميةِ لذلك العصر (العَرَبُ والموَالى)، ونبغَ من الفريقيْن علمَاءُ أجِــلَّاءُ متبحِّرون. أخلصوا لرسالةِ العلمِ، وتجــرَّدُوا لــها وَوَهَبُوهــا حياتَــهُمْ وجهودهم فكانوا أئمةً لمن بعْدهم ومصابيحَ يُهْتَدَى بها حتى اليوم وإلى ما شاءَ الله.

قدَّمنا أنَّهُ فِى(الصَّدْرِ الأوَّلِ من الإسْلَامِ)لمْ يَكْتُبِ المســلمونَ ولــمْ يُدَوِّنُوا شيئًا سِوَى القرآنِ الكريم إجْلالًا له، واحْتياطا لِمَتْنِهِ الشــريفِ أنْ يَدْخُلَ فيه ما ليس منه، فاعتمدَ الناسُ على (الرِّوايةِ) الشفهيةِ فى مجــالاتٍ أخرى جليلةِ الشأنِ (إلى جانبِ الشِّعرِ) كالحديثِ النبوىِّ الشريفِ وتفســيرِ القرآنِ الكريم وسيرةِ الرسولِ وأخْبارِ مغازيه، وَخُطَــب وآثــارِ خلفائــهِ الراشدينَ رضوان الله عليهم، فلما أَمِنَ المسلمون تَمَامًا على القرآنِ الكريمِ أخذُوا فى (التدوين) لكلِّ ما سَبَقَ فبدءُوا فى تدويــنِ(أحــاديثِ الرســولِ)

---

(١) من عام ٣٠هــ منتصف خلافة عثمان إلى عام ١٠٠هــ تقريبا فى خلافة (عمــر بن عبد العزيز) أى أكثر من نصف قرن.

(*) أى العصر الأموىّ.

وَغَزَوَاتِهِ وأخبارَ الأوَّلين في (العصر الأموى) وتَبِعَ ذلك تدوينُ الشعرِ جَاهِليِّهِ وإِسْلاميِّهِ، ولكنَّ حركةَ التدوينِ بلغتْ ذروةَ اتساعها وقوتها أواخرَ عصرِ بنى أمية وأوائلَ العصرِ العباسيِّ، إِذْ أدرك العهدين جميعا أَشْهَرُ رواةِ الشعرِ العربيِّ (كأبى عمرِو ابنِ العلاءِ)، و(المفضَّلِ الضَّبيِّ) و(أبى زيدِ الأنصاريِّ) و(حمَّادٍ).

وفى عصرِ هؤلاءِ العلماءِ وتلاميذِهِم مِنْ بعْدِهِمْ ازدهرتْ (الروايةُ) فى العلومِ الشرعيةِ واللغويةِ والأدبيةِ على حدٍّ سواءٍ، وصارتْ عِلْماً بارزًا له أَعْلامُهُ ونوابغُهُ وشملها الخلفاءُ من أُمَوِيِّينَ وعباسيِّينَ بالرعايةِ التامةِ والتشجيعِ العظيم[1]، وأخذَ هؤلاءِ الرواةُ يدوِّنون مَرْوِيَّاتهمْ فى كتبٍ أَلَّفوها.

قال صاحبا (الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه) [2] "وكانت كتابة التصنيف والتدوين فى القرنِ الأولِ (الهجرى) وبعضِ الثانى عبارةً عن سلسلةٍ من الرواياتِ المسندةِ إلى رواتها من أحاديثَ نبويةٍ أو أقاويلِ صحابةٍ أو فتاوى فقهاءَ أوْ أشعارِ أعرابٍ أو أخبارِ فتوحٍ أو نوادرَ أَوْ غيرِ ذلك، وبعضُها يروى بلفْظ أصحابها غالبا كما فى الشِّعر والخُطَب والرسائلِ، وبعضها بلفظ الرَّاوى كما فى أخبارِ الفتوحِ والتاريخ والقَصَص".

ودخل فى غِمارِ الرواية – شرعيةً وأدبيةً – بعضُ مَنْ اتُّهموا فى أمانتِهِمْ العلمية، فكانوا (غيْرَ ثقات) – وهم قلة – فأَدْخَلُوا فى الأحاديث وفى الشعر دخيلاً من صنعهم لأسبابٍ متعددة[3] فانْبَرَى لهمْ علماءُ الروايةِ (الأمناءُ الثِّقاتُ) – وهم الكثرة – فتتبَّعُوا رواياتهم وَنَقَدُوهَا

(١) راجع قصة (حماد) الراوية مع الخليفة الأموى (هشام بن عبد الملك) ثم قصته مع الخليفة (المهدى) العباسى فى شرح السندوبى على كتاب البيان والتبيين للجاحظ ط ٠الاستقامة ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م.

(٢) هما المرحومان الشيخان (أحمد الاسكندرى) و(مصطفى عنانى).

(٣) منها التظاهر بكثرة الرواية ومنها أغراض سياسية أو قبلية أو علمية.

ومحّصُوهـــا،
فأقرُّوا صحيحَها وأظهروا باطلَها ونبهوا على ما فيها من زَيْفٍ أو كذِبٍ،، وكثيرًا ما أسْقطوا روايةَ مَنْ يَثْبُتُ عليه الكذبُ والاختلافُ، فنشأ مِنْ ذلـكَ عِلْم (الإسْنَادِ) و(نقْدِ الرِّجال) ولاسيما فى روايةِ السُّنةِ النبويةِ كمــا نشــأ (علم مصْطلح الحديثِ) ونشأ فى الأدب ما يشبه ذلك، وصارت (العَنْعنةُ): (حدثنى فلان عن فلان عن فلان.....) الخ من سِماتِ العلوم الإســلاميةِ الشرعيةِ واللغويةِ والأدبيةِ كما تجدها ــ على سبيل المثال ــ فى (صحيح البخاريِّ) متصلةً برواية الأحــاديثِ النبويــةِ وفــى كتــابِ (الأغــانى للأصفهانيِّ) متصلةً بروايةِ الشعرِ وأخبارِ الشعراءِ، وهذا الاتجاهُ العلمِــيُّ فى التحقيقِ والنقدِ والتمحيصِ لتراثِ الأمةِ الدينيِّ واللغويِّ والأدبيِّ ممَّــا انفردتْ بِهِ الأمةُ الإسلاميةُ فى ثقافتِها وأُسُسِ حضَارتِها.

وكما تشدَّد علماءُ السيرةِ[١] والسُّنةِ فى تصحيح الروايةِ وقاموا(بعدَ البحْثِ)بتعديلِ الرُّوَاةِ أوْ جَرْحِهمْ، والــتزموا بشــدةِ التحــرِّى والتَّوْثُــقِ للوصولِ إلى الصادقِ الصحيحِ من الرواياتِ الذى تطمئنُّ إليــه النفــسُ (احتياطًا للدين) سَرَتْ هذه الروحُ فى روايةِ الشِّعْرِ والأدبِ (احتياطًا للغة)، ولاسيما فى ذلكَ العصرِ الذى كان يُبْنَى فيه صَرْحُهَا وتَرَسَّــخُ أُسُسُــهَا، ويُسْتَشْهَدُ فيه بمأثورِ الشعرِ الجاهلىِّ والإسلامىِّ على قواعِدِهَا، ويُحْتَــجُّ بهما لِصِحَّتِها.

(وأشهرُ رواةُ الشعرِ وعلمائِهِ) الذين أشَرْنا إليــهمْ وُجِــدُوا فــى (البَصْرةِ) و(الكُوفَةِ) اللتين كانتا من أهمِّ مراكزِ اللغةِ والأدبِ فى عـــهدِ

---

(١) كابن هشام صاحب السيرة النبوية (عبد الملك بن هشام المعافرى) المتوفى عـــام ٢١٣هـ.

صَدْرِ الإسلامِ وبنى أُميَّةَ، ثُمَّ فى (بَغْدادَ) حاضرةِ العلوم والآداب ومَهْدِ الثقافةِ الإسلاميةِ الشاملةِ لأكثرَ منْ خمسةِ قرونٍ تاليةٍ.

فمنهم (عامرُ بنُ شراحيلَ الشَّعْبِيّ)م١٠٥هـ الحجةُ الثقةُ الذى بلغ من حفظِ للشعرِ أن قال عن نفسه :"لوْ شئتُ لأنشدتُ شَهْرًا ولا أعيدُ بيتًا"!، و(الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ) البصريُّ م١٦٠هـ العالمُ المحقِّقُ العبقريُّ واضعُ عِلْمَيْ العروضِ والقافيةِ اللذيْنِ استنبطهما من كثرةِ روايتِهِ وإطلاعه على أشعارِ العربِ الأقدمين (وحَمَّادُ بنُ أبى ليلى) الكوفيُّ م ١٥٥هـ الذى وُصِفَ فى روايتِهِ الشعر بأنه البحرُ لا ساحِلَ له، وكان المقدَّمَ عند بنى أمية فى الرواة وقد سأله أحد خلفائهم عن مقدار ما يحفظ من الشِّعر، فقال: كثيرٌ، ولكنى أنشد على كل حرف من حروف المعجم مائةَ قصيدةٍ كبيرة سوى المقَطَّعات (الصغيرة) من شعرِ الجاهلية دونَ الإسلامِ وهو أولُ من عُنِى بتدوين القَصَائدِ السَّبع الطِّوال المعروفةِ (بالمعلَّقات)، بَيْدَ أنه تَزَيَّدَ فى بعضِ أشعارِ الأقدمينَ ففقد ثقةَ العلماءِ والنقادِ (فى بعض مروياتِهِ)، (والمفضَّلُ بنُ محمدِ الضَّبِّيُّ) صاحبُ (المُفَضَّلياتِ) ومؤدِّبُ الخليفةِ (المهديِّ العباسيّ) وكانَ معاصرًا (لحمَّاد) وكان ثقةً أمينًا يُسَاجِلُ حمادًا ويردُّه إلى الصَّواب.

(وأبو عَمْرٍو بنِ العلاءِ) البَصْريُّ م١٥٩هـ وهو إمامٌ حجةٌ ثِقةٌ مِنْ أساتذةِ الأَصْمَعِيّ وأبى عُبَيْدةَ، وعنه أخذ أكثرُ النُّحاةِ والأدباءِ (وأبو زيدٍ الأنصاريُّ) م١٧٥هـ تلميذُ (المفضَّل) وأستاذُ الأصْمَعِيّ وصاحبُ كتابِ (النَّوادرِ) فى اللغة وكتابيْ (المطر) و(اللبن) و(خلفُ الأحمرُ البصريُّ) م١٨٠هـ مِنْ أساتذةِ الأصمعيِّ، وفيه يقول (الأَخْفَشُ) :"لمْ نُدْرِكْ أحَدًا أعلمُ بالشِّعْرِ مِنْ خَلَفٍ" وهو صاحبُ كتابِ (أيامِ العَرَبِ وما قيل فيها من الشِّعرِ) لكنَّ خَلَفًا اتُّهِمَ بِصُنْعِ بعضِ القصائدِ ونِسْبَتِها إلى الشُّعراء

الجاهليينَ ففقدَ ثقةَ علماءِ الشّعْرِ ونقّادِهِ كزميلِهِ (حَمّاد) ووُضِعَتْ مرويّاتُهُ الخاصةُ موضعَ الشّكّ، (ويونسُ ابنُ حبيبٍ) النحويُّ البصريُّ م١٨٢هـ (وأبو عمرٍو الشّيبانيُّ البصريُّ م٢٠٦هـ جامعُ أشعارِ القبائلِ (وأبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنُ المثنّى التيميّ) البصريُّ م٢٠٩هـ صاحبُ (نقائضِ جريرٍ والفَرَزْدَق) [1] و(عبدُ الملكِ بنِ قريبٍ الأَصْمَعِيُّ) البصريُّ ٢١٦هـ الإمامُ التقيُّ الحُجّةُ الثَّبَتَ سميرُ الخليفةِ (الرشيدِ) وأستاذُ جيلٍ من الرواةِ والأدباءِ، وكان مِنْ أحفظِ أهلِ زمانِهِ، وقد قال مرة :"إنى أحفظ اثنى عشر ألف أرجوزة[2] فقال رجل: منها البيتُ والبيتانِ، فقال: ومنها المائةُ والمائتانِ، (وهو صاحب (الأَصْمَعِياتِ) فى الشعرِ، وله كتابٌ فى (الأراجيزِ) وكتبٌ أُخْرَى فى الأدبِ.هذه طبقة من الرواة تضمُّ على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ (تسعةً) من الرواةِ الثقاتِ (واثنين) من الرواة غيرِ الثقاتِ، وقد جاءت بعدهم طبقةٌ من علماءِ الروايةِ المؤلّفين،ونُقّادِها المحقّقين نذكرُ لك منهم سبعةً هم: (محمدُ ابنُ سلامٍ الجُمَحِيّ) البصريّ م٢٣٢هـ صاحبُ كتابِ (طبقاتِ فُحُولِ الشُّعراء) من جاهليين وإسلاميين، (وأبو زيدِ بنِ أبى الخَطّاب) صاحبُ كتاب (جَمْهرةِ أشعارِ العرب)، و(أبو تمّامٍ حبيبُ ابنُ أوسٍ الطائيّ) م٢٣١هـ الشاعر وصاحب (كتابِ الحماسةِ) وهو مختارات جمعها من شعر الجاهليةِ والإسلام، لتكونَ زادا للمتأدّبين، (وأبو سعيدٍ السُّكّرِيُّ البغداديُّ) م٢٧٥هـ جامعُ أشعارِ الهذليين، وبنى شَيْبان وغيرِهم، (وابنُ قُتَيْبَةَ الدّينَوَرِى) م٢٧٦هـ صاحبُ كتابِ (الشعرِ والشعراء) و(أحمدُ ابنُ طَيْفُورَ) م٢٨٠هـ صاحبُ كتاب (المنظومِ والمنثورِ) فى أربعة عشر جزءا وهو من تلاميذِ

---

(١) وثلاثتهم ثقات عدول.

(٢) قصيدة من بحر الرجز تتغير فيها القافية فى كل بيت.

(الجَاحِظِ)، (وأبو عُبَادَةَ البُحْتُرِيُّ)[1] الشاعرُ وصاحبُ كتابِ (الحماسة) الذى ألفه على غِرارِ حماسةِ أستاذِه (أبى تمام)٠

ثم جاءت طبقة ثالثة من علماء الرواية الأعلام، ضَمَّتْ إلى رواية أشعار (الجاهلين والإسلاميين) روايةَ أشعار (المحدثين) من الشعراء العباسيّين، وعلى رأسِ هؤلاء إمامُ الأدبِ الأكبرُ (أبو الفرج الأصْفَـهَانِيُّ) ٣٥٦هـ فى كتابِه العظيمِ الفذّ (الأغَانى) أجمع كتبِ الأدبِ العربىّ للشعر وأحْفَلِها بآثارِ الشعراءِ وتراجِمِهم وأخبارِهم الموثقةِ بالأسانيد، ويقع فى واحدٍ وعشرين جزءا، ولا يزالُ حتى اليوم أعظمَ المراجع فى بابِه، وأوفاها فى موضوعِه٠ ونكتفى به مِثالاً فى ختامِ حديثِنا عن الروايةِ ورجالِها وطبقاتِ أعْلامها٠

ولنا أن نقرر بعد أن عرضنا عليك هذا الجَهْدَ الكبيرَ المتواصلَ الذى قام به (الرواة) تجاه الشعر عامةً والشعر الجاهلىّ خاصةً: أنهم حفظوا لنا هذا التراث، وبذلوا كل ما يستطيعون فى تمحيصِه ونقدِه، وأنهم لمْ يتوانَوْا فى التنبيهِ إلى مواطن الشكّ والضعفِ فى بعضِ المروياتِ، وفى قولةِ الحقّ فى الرواةِ المتساهلين كَشْفًا لهم وتحذيرًا منهم بحيث يَحِقُّ لنا أن نطمئنَّ إلى صحةِ هذا التراثِ(فى مجموعِهِ الغالِبِ)وألاّ نعتدَّ بالقليلِ النادرِ الذى اندسّ فيه بفعلِ كَذَبَةِ الرُّواةِ ومُبْطليهم، وأنْ نقولَ بحقٍّ إن (التوثيقَ العلمىّ) قد بلغَ عند علماءِ الأمةِ الإسلاميةِ، ما لمْ يبلغْه فى أىّ أُمّةٍ من الأمم الأخرى٠

---

(١) المتوفى عام ٢٨٤هـ٠

الفَصْلُ الثَّانِى

"فَنُّ التَّحْقِيقِ"

وإذا كان علماؤنا الأقدمون قد قاموا بواجب (التوثيق) لمروياتهم رسائر مسائلهم العلمية على هذا النحو القويم، فإن فَنًّا جَليلاً قد نشأ فى العصرِ الحديثِ لخدمةِ التوثيق، وإحياءِ سنة القدماء من أسلافنا الأعلام فيه، ذلكم هو (فَنُّ التَّحْقِيقِ) الذى هو من أفضلِ أنماذجِ التوثيقِ فى عصرِنا الحاضرِ، والذى يفيدُ منه الباحثون أعظمَ إفادة لو التفتوا إليه، وإليكم كلمة موجزة عن مفهومه وأشهر رجاله: أ- (المفهوم اللُّغَوِى): جاء فى المعاجم فى مادة (حَقَّ): حَقَّ الأَمْرُ: صَحَّ وصَدَقَ، وَحَقَّقَ الأَمْرَ: وَصَلَ فِيهِ إِلَى الحقيقةِ واليَقِينِ، وَحَقَّقَ الشىءَ: أَثْبَتَ الحقَّ، وأزال الباطِلَ والخَطَأَ واللَّبْسَ، وتَحَقَّقَ الخبرُ: صَحَّ، والمُحَقَّقُ من الكلامِ: المُحْكَمُ الرَّصِينُ.

ب- (المَفْهُومُ الاصْطِلَاحِىّ) يُرادُ بِهِ [تَنَاوُلُ عَالِمٍ خَبِيرٍ ثِقَةٍ — أَوْ أكثرَ مِنْ واحدٍ من العلماءِ — كتابا قيِّماً من كتبِ التراثِ مخطوطًا، أو مطبوعًا طَبْعَةً رَدِيئَةً مشتملةً على أَخْطَاءٍ وعُيُوبٍ[1]، بالمراجَعَةِ الدَّقِيقَةِ والتصحيحِ لأَغْلاطِهِ، وتَصْويبِ أَخْطائِهِ وشرحِ غَوامِضِهِ، ومراجعةِ نُسَخِهِ إِنْ وُجِدَتْ ومقابلةِ بعضِها ببعضٍ، وسَدِّ ثغراتِهِ — إن وجدت — وَضَبْطِ نُصُوصِهِ وَشَوَاهِدِهِ وأَعْلامِهِ، والتَّقْدِيمِ لَهُ، والتَّعْرِيفِ بِهِ وَبِمُؤَلِّفِهِ، والفَهْرَسَةِ لَهُ، وَإِخْرَاجِهِ إِخْرَاجًا عِلْمِيًّا

---

(١) أو طبعة عادية ليس فيها أخطاء لكنها غيرُ مخدومةٍ مِنْ جهةِ الضبْطِ والفهارسِ ونحوها ...

لائقاً، وتقديمه للطبع، ليظهر في صورة قشيبة، تتيح للقارئ حُسْنَ الانتفاع بِهِ، واجْتِناءِ ثِمارِهِ اليانعَةِ، واكتشافِ كُنوزِهِ التي كانتْ مطْمُورَةً، وَإِظْهَارِ مَحاسِنِهِ التي كانتْ مَحْجُوبَةً وَمَغْمُورَةً.] ★ جـ-(وأَسْبَابُ ظُهُورِه) وُقُوفُ رِجَالِ النهْضَةِ العربيَّةِ الحديثَةِ على ظاهرةِ كثرةِ المخطوطاتِ من التراثِ العربيّ التي لم تُطبعْ ولمْ تُنْشَرْ، مع شدةِ الحاجةِ إلى ما فيها من كنوزِ المعرفةِ ومجالاتِ الثقافةِ على المستوى القوميّ والإنسانيّ، وهذه الأسبابُ تُنْبِئُ عَنْ أهميَّةِ هَذَا الفنِّ البالغةِ، وفوائدِهِ الجمة، ورسالتِهِ القيِّمَةِ.

أَشْهَرُ المحقِّقينَ في العصرِ الحديثِ:

وقد نبغ في عصرِنا الحديثِ – بفضلِ اللهِ – مَجْمُوعَةٌ صالحة، ونخْبة ممتازةٌ، من العلماءِ المحققين، الأَكْفاءِ المتْقِنين، الخُبَرَاءِ بهذا الفنّ، البُصَرَاءِ بطُرُقِهِ الوَعْرَةِ، المذلِّلين لصعابِهِ الجمَّة كان من أهم صفاتهم إلى ما سبق غزارةُ العلمِ، ودقةُ الملاحظةِ، والخبرةُ الفائقة بكتبِ التراثِ العربيِّ والصبرِ الدءوبِ على ما انْتَدَبُوا أنفسَهم له مِن هذه المُهِمَّةِ الشريفة.

وقد قاموا بمهمة التحقيق لبعض هذه الكتب التراثيةِ القيمة في مكتبتنا العربية الزاخرة، فأخرجوها في صورة مشرقة، وَيَسَّروا بذلك الانتفاعَ بها، وضاعفوا فائدَتَها، فاستحقُّوا الثناءَ الجميلَ على جُهُودِهم الرائعةِ، وخِدْمَتِهِمْ العلمَ والأدبَ وتبوَّءُوا مكانا عَلِيّاً، وصَارُوا في فنِّهم الجليلِ رُوَّاداً صالحين، وأعْلاماً خالدين، وَأُسْوَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ العَامِلين[1].

(★) هذا التعريف من وضْع المؤلف.

(١) ونرجو أن يسير على منهجهم طلاب العلم والأدب النابهين في الدراسات العليا بمختلف الجامعات بأن يجعلوا موضوع رسائلهم وأطروحاتهم الجامعية=

مِن هذا الرعيلِ الكريمِ على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ: الأساتذةُ الفضلاءُ: الأستاذُ الإمامُ الشيخُ (محمد عبده) مُحَقِّق كتابِ (نهجِ البلاغَةِ) وكتابِ (دلائلِ الإعجازِ) لعبدِ القاهر الجُرْجَانِيّ والشيخُ (محمد محمود الشنقيطى) محققُ (القاموسِ المحيط) وشريكُ الأستاذ الإمام فى تحقيق (دلائلِ الإعجاز)، والشيخُ (نصرُ الهورينىُّ) المشاركُ فى تحقيق (القاموسِ المحيطِ) والمحققُ لبعضِ رسائلِ ابنِ زيدون)، والعلامةُ (أحمد تيمور باشا) مصحِّحُ مُعْجَمَىْ (لسانِ العربِ) و(القاموسِ المحيطِ)، ومفهرسُ كتابِ (خِزَانةِ الأَدبِ للبغدادىِّ) وصاحبُ كتابِ (ضبطِ الأَعلامِ)، والعلامة الأستاذ الشيخُ (محمد على النجار) محققُ كتابِ (الخصائصِ لابنِ جِنّىّ)، و(إبراهيمُ السَّامَرَّائى) محققُ كتاب (نُزْهَةِ الأَلِبَاَّ في معرفةِ الأُدَبَا) والعلامة الدكتور (شوقى ضيف) محققُ كتابِ (المُغْرِبِ فِى حلى المَغْرِب لابنِ سعيد) وكتابِ (الردّ على النحاةِ لابنِ مَضَاءٍ القُرْطُبِىّ)، والأستاذان: (علىُّ الجارمُ) ومحمد شفيق معروف) مُحَقِّقَا (ديوانِ البارودىِّ) و(علىّ عبد العظيم) محققُ (ديوانِ ابنِ زَيْدون) و(محمد سعيد العُرْيان) محققُ (العقدِ الفريدِ لابنِ عبدِ ربِّه) والأستاذ الشيخ (محمد محيى الدين عبد الحميد) المحققُ لكثير من الكتب القيمة، منها (يتيمةُ الدهرِ للثعالبىّ) و(معاهدُ التَّنْصِيصِ على شواهدِ

=(للماجستيرا والدكتوراه) تحقيقا لكتاب من كتب التراث المحتاجة إلى مثل هذا الجهد، وما أكثرها..

التلخيصِ لعبدِ الرّحيم العباسيّ) والأستاذُ (محمود محمد شاكر) محققُ (أدبِ الكاتبِ لابنِ قُتَيْبَة)، وأَعْلامٌ آخرونَ نذكر أسماءَ بعضِهم — دونَ أسماءِ الكتبِ التى حققوها — طلبا للاختصار كالأساتذة: (إبراهيمَ الإبياريّ) و(عبدِ السلامِ هارون) و(عليّ البجاويّ) و(أحمدَ محمد شاكر) و(حَسَنِ السندوبيّ) و(شكريّ فَيْصَل) و(محمدٍ بهجة الأثريّ)،وغيرُهُمْ كثيرٌ، فمنهم من لَقِيَ رَبَّه*، ومنهم مَنْ لا يزالُ على قيدِ الحياةِ، جزاهم الله جميعا عن العربية والناطقين بها أحسنَ الجزاء ولهمْ من الباحثين والقراء، صادقُ العرفانِ والوفَاء.

(*) ومن أواخر هذا الرعيل الكريم الأستاذ (د/محمود محمد الطَّناحيّ) (١٩٣٥ - ١٩٩٩م) الذى كان يُعْلِي من شأن (الفهرسة) فى التحقيق وكان يَرِّددُ دائما عبارةً يَرْويها عن أَحَدِ شُيُوخِهِ: «الكتب بِلاَ فَهْرَسَةٍ كَنْزٌ بِلاَ مِفْتَاحٍ» ومن أهم تحقيقاتِهِ كتابُ (طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى) مع زميلِهِ د (عبدِ الفتاح الحُلْو) رحمهما الله.

[راجع مجلة (الهلال) المصرية عدد سبتمبر ٢٠٠٢م]

البَابُ الخَامِسُ

البحثُ الأَدَبيُّ: خَصَائِصُهُ وَسِمَاتُه

الفَصْلُ الأَوَّلُ

(مفهومُ الأَدَبِ وَأَقْسَامُهُ)

تحدثنا فى الفصول السابقة عن البحث فى العلوم بوجه عام ــ وبخاصة النظرية منها ــ سواء أكانت علوما شرعية أم لغوية أم أدبية أم اجتماعية.

والآن نتجه بكلامنا إلى (البحث الأدبى) بوجه خاص لأنه هدفنا النهائى فى هذه الدراسة، ونبدأ هذا الحديث بموجز عن (مفهوم الأدب) ومدلولاته، أما معناه الأصلى فنحيلك على (المعاجم اللغوية) :مادة (أدب) لتعرف منها المرادَ من هذه المادة من حيث اللغة.

وأما المدلول الفنى للأدب، فقد مر بأطوار عدة على مر العصور العربية منذ الجاهلية إلى اليوم، تتسع أحيانا، وتضيق أخرى وكان بين مدلولاته فيها روابط لا سبيل إلى تجاهلها، ونحيلك فى الإلمام بهذه الأطوار وتلك الروابط إلى كتب النقد الأدبى وتاريخ الأدب القديمة والحديثة، حيث تجد طلبتك من ذلك إن شاء الله.

والذى يهمنا الآن، هو ما انتهى إليه مفهوم الأدب فى عصرنا الحديث، حيث نتقبله ونتعامل بمقتضاه.

فما الأدب؟

إنه فرع بديع ناضر من فروع (الشجرة اللغوية) تتحـــول فيه الكلمات والجمل والعبارات إلى فن جميل جـــذاب فتجعلـه أحب فروع هذه الدوحة إلى الناس، وأقربها إلى قلوبهم.

ونحدد هذا الكلام العام تحديدا علميا فنقول:

أ) إن (الأدب) من جهة الاقتدار على إبداعة كأى فن جميل: موهبةٌ من الخـــالق جـل وعــلا، تُظْــهِرُها الممارسةُ اللغويةُ الجيدةُ مع المعاناة النفسية الصادقــة، واستعدادٌ فِطْرِىٌّ تصْقله التجربةُ المستمرَّة، وَيُنْضِجُـهُ تعاطِى نِتاجِ الموْهوبين فى هذا المجال.

ب) ومن جهة مدلولة الفنى: هو (ذلك الفنُّ الكلامـــىُّ الجميلُ من الشعر والنثر الذى يصـــور بــه الأديــب الطبيعةَ والحياةَ من خلال إحساســه بــهما تصويــرا يُحدِثُ فى نفوس قارئيهِ أو سامعيهِ متعةً وجدانيةً ولذةً فنِّيَّة).

وقد يتجاوز أثرُ الأدبِ مجردّ اللذة الفنية إلـــى مشــاركة المتلقى (من قارئ أو سامع) الأديب فى عواطفه ومشاعره، بــل فى آرائه وأفكاره، بل فى معتقداته واتجاهاته فى الحياة، ويـزداد الأثر قوة وعمقا فى الأدب الموضوعى كالقصة والمسرحية.

٢-أقسام الأدب:

وللأدب زاويتان يحدد النظر إليهما (أقسامه وفنونه):

١-زاوية(إبداعه وانشائه)ونرى فيها و(الأدب الإنشائى) [(١)] أو ما نسميه بالنتاج الأدبى أو النصوص والآثار الأدبيــــة وهــذا الأدب الإنشائى ذو قسمين رئيسين هما: (الشعر) و(النثر) ولكل منـــهما أقســـام فرعية٠

٢-زاوية(تقويم الأدب الإنشائى) برصد خصائصه الفنية، ووضعه فى الميزان للحكم له أو عليه حسب معايير فنية، وأيضـــا التـــأريخ لـــه ولمنشئيه، وبيان أنواعه، ورصد ظواهره وتعليلها وهذا يســـمى (الأدب الوصفى) [(٢)]٠

وله قسمان كذلك هما: (النقد) و(تاريخ الأدب)٠

فالنقد تدخل فيه مقاييس وقوانين منها فنون (البلاغـــة) الثلاثـــة: المعانى والبيان والبديع، كما تدخل فيه (الموازنات)٠

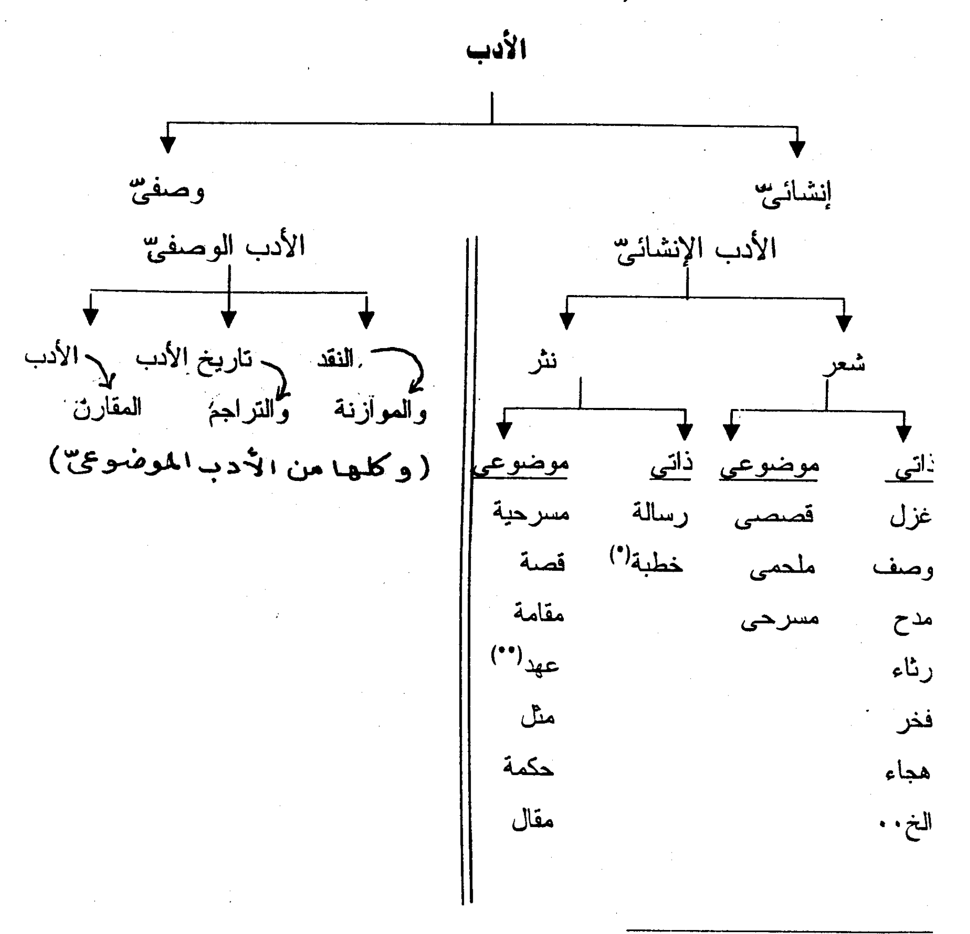
وتاريخ الأدب يدخل فيه بيان ما يختلف على الأدب من الأحـــوال والأطوار، وما ينشأ عن ذلك من رقيّه وانحطاطه"[(٣)] كمـــا تدخـــل فيـــه (التراجم) والمقصود بها تراجم الشخصيات الأدبية بطبيعة الحال، وبـــهذا نكون قد حددنا لك فروع الدراسات الأدبية ويمكننا توضيح ذلك بـــالجدول الآتى:

---

(١)(٢)راجع (التوجيه الأدبى) لطه حسين وآخرين ط٠ دار الكتاب العربـــى بمصـــر عام ١٩٥٤م ص٤ ٠

(٣) المرجع السابق ص٧ ٠

(جدول يمثل أقسام الأدب)



(*) يمكن دخول بعض هذه الأنواع فى النثر الموضوعى بحسب غرض الأديب (فخطبة) فى تكريم شخص (أدب ذاتى)، (وخطبة) فى شرح مبدأ أو بيان قضية (أدب موضوعى)، (ورسالة تهنئة إخوانية) غير (رسالة ذات شأن اجتماعى خطير) كرسالة (عمر بن الخطاب) إلى (أبى موسى الأشعرى) فى القضاء، ومقال فى وصف حديقة غير مقال فى موضوع سياسى أو أخلاقى.

(**) (العهد) المعاهدة والموثق، (كعهد الحديبية) بين المسلمين والمشركين، وعهد (أبى بكر) لعمر بالخلافة، وعهد (الرشيد) بالأمر من بعده لولديه (الأمين) ثم (المأمون).

ومن هذا العرض، يتبين لنا أن الأدب بقسميه (الإنشائى والوصفى) قد تفرعت منه (علوم أدبية) كثيرة (كتاريخ الأدب) و(النقد الأدبى) و(التراجم الأدبية) و(الأدب المقارن) و(النصوص الأدبية)... وأن هذه العلوم متعددة المناحى وأن موضوعاتها لا تكاد تتناهى كثرة، ومن ثم (فالأدب) مجال واسع للدراسة، (وحقل خصب لمختلف البحوث)، وهو بهذه الصفات والمميزات، ــ وكأىِّ (علم) من العلوم النظرية ــ صالحٌ (للبحثِ العِلْمِيِّ)، ولتطبيق قواعدِه وقوانينِه، ومناهِجِه وأساليبِه، وَإِنْ سُمِّيَ (بحثًا أدبيًّا).

الفصل الثانى

"أَهمُّ مَنَاهِجِ البَحْثِ الأَدَبِىّ"

تمهيد:

لا يمكن للباحث المنصف الذى يَنْشُدُ الحقيقةَ أَنْ يستغنىَ عن منهج يسير عليه، ويهتدى بقواعده، ليكون بحثه موضوعيا محكما جاريا على السنن المرضى عند أهل العلم.

ومن خلال منهج سليم يختاره الباحث، يستطيع أن ينطلق فى آفاق بحثه، ملتزما بأصول هذا المنهج، محافظا على تقاليده مدافعا عما اعتقد أنه حق وصواب، بالدليل والبرهان أو مُضِيفا إلى المنهج رؤية جديدة أو اجتهادات سديدة.

وما دمنا قد سُبِقْنا بباحثين وَضَعُوا الأسس والقواعد لمناهجَ متعددة، بعد أن خاضوا تجاربَ عقلية وعلمية عميقة، وسجلوا نتائج هذه التجارب للأجيال القادمة بعدهم، فلا مناص لنا من الإلمام بهذه المناهج لمعرفة الصحيح من السقيم ـ فالحكمة ضالة الباحث الحق، أنى وجدها اصطفاها ورحَّبَ بها ـ لاختيار الأفضل، مع مراعاة ظروف الحاضر، وتطور الفكر، وواقع الحياة وما جدَّ من النظريات العلمية التى قامت الأدلة على صحتها.

ومنذ فجر التاريخ، ومع توالى الحضارات والثقافات الإنسانية وضع الفلاسفةُ والعلماءُ وأهلُ البحث والنظر فى العلوم والفنون مشاعلَ مضيئة، وعلاماتٍ وإشاراتٍ على طريق البحث فيها، فلا ينبغى لباحث أن يتجاهَلَها ويولِّيَهَا ظهرَهُ ويمشى فى الغبش[١] يتلمّسُ الطريق، كما أنهم بما بذلوا من جهودٍ مضنيةٍ قد مهَّدوا السبيل وعبَّدوها لمن بعدهم فَلْنسِرْ فيها لا عُمْياً مقلِّدين، ولكن واعينَ مستبصرين.

ومن المسلم به أن السابقين قد وضعوا اللَّبِناتِ الأولى فى صرحِ العلم والمعرفة، فمن استطاع فليضعْ لبنةً أو أكثرَ فى هذا الصرح العظيم.

ولقد دعا بعض نقاد الغرب فى مطالع هذا القرن[٢] (العشرين الميلادى) إلى إبعادِ البحوث الأدبية عن المناهج والقوانين البحثية وعدم إخضاعها لأى منها، والاكتفاءِ فى التعامل مع الأدب وفنونه، بالتذوّق الخاص، والانطباعات (الذاتية التأثرية)، والنظراتِ الشخصية، وهذه مغالاةٌ منهم وبُعْدٌ عن المحجّة، لأن الأدبَ جزءٌ من الحياة، والحياة بكل ما فيها من زمان ومكان وإنسان ذى نفس وعقل وفكر وعاطفة وكائنات يتعامل معها البشر ويتفاعلون، الحياة بهذا كله (موضوعيّة) تسير بقوانين ثابتة وضعها خالقها عزوجل كانت وستظل موضعَ تفكيرنا ودهشتنا ومحاولاتنا فهمها وإدراك أسرارها واكتشاف حكمتها البالغة حيناً بعد حين — فلا مناص لنا معشر الباحثين من التعامل فى بحوثنا

---

(١) الغبش: بقية الليل، أو ظلمة آخره (راجع القاموس المحيط).

(٢) راجع كتاب (البحث الأدبى، طبيعته. مناهجه. أصوله. مصادره) للدكتور (شوقى ضيف) ط.دار المعارف بمصر ١٩٧٦م ص١٢١ .

الأدبية مع هذه العوامل الموضوعية ولا عجب أن تتعدد المناهج تبعا لزوايا الفكر والنظر، ولما تؤدى إليه التجارب، وما يفضى إليه تقدم العلم وارتقاؤه٠

والاعتماد على النظرة الشخصية للأدب والانطباع الذاتى، قد يقود الباحث إلى الحكم بالهوى وهو مفسد للبحث، وإلى الإعجاب بالرأى، وهو مدعاة للخطأ والضلال حيث لا منهج ولا مقياس وهذه عجالات موجزة عن أهم المناهج:

١-(المنهج العقلى أو المنطقى):

وواضعه هو الفيلسوف الإغريقى القديم (أرسطا طاليس) ولذلك يعرف بالمنهج الأرسطى، وقد أقام قواعده على ما اهتدى إليه من تقسيم المعارف إلى (الكليات الخمس) :الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض، (والاستدلال) عنده يتألف من قضايا تتكون منها مقدمات (القياس) بحيث إذا كانت المقدمات صحيحة أدت إلى نتائج صحيحة، وإذا كانت المقدمات فاسدة أدت إلى نتائج فاسدة وقد لعب هذا المنهج دورا كبيرا فى البحوث العلمية بعد أرسطو عند كثير من الأمم التى أطلعت على الثقافة اليونانية، ومنها (الأمةُ العربيةُ) ثم الأمم الأوربية، إلا أَنَّ العربَ مع استفادتهم من هذا المنهج كانتْ لهم من أَوَّلِ الأمرِ شخصيتهم العلمية المستقلة، فاستدركوا عليه، وعدلوا فيه، وأضافوا ما رأوه حقا، وانفردوا بمبتكراتهم ونظرياتهم التى

ميزتهم، بخلاف الأوربيين الذين قدسوا المنهج الأرسطى قرونا متطاولة، قبل أن ينقلبوا عليه، ويُبْعِدُوه تماماً عن مناهج البحث فى العلوم والفنون.

٢-(المنهج العلمى الإسلامى) :الاستقرائى والتجريبى:

أشرنا آنفا إلى استفادة العرب المسلمين من منهج أرسطو المنطقىّ وإلى تعديلهم فيه وإضافتهم إليه بعد دراستهم إياه دراسة واعية مستنيرة ــ ففى جانب الإفادة أقروا منهج (القياس) فظهر فى علومِهم الكثيرةِ، ومنها العلومُ الشرعيةُ (كالفقهِ)، والعلوم اللغويةِ (كالنحو)، "لكنهم رأوا أن الأفضل فى القياس (الانتقال من الجزئيات إلى الكليات العامة) خلافا لأرسطو حتى يكون القياس سديدا"[١]، ويقوم المنهج العربىُّ الإسلامىُّ على قاعدتين أساسيتين هما:

١-الاستقراء .

٢-الملاحظة والتجربة .

وبهما نهضت العلوم العربيةُ النظريةُ والعمليةُ نهضة عظيمة منذ القرن الثانى والقرن الثالث للهجرة.

فمن العلوم التى أُخِذَ فيها بقاعدةِ (الاستقراءِ):عِلْمُ استنباطِ الأحكامِ من الأصول (الكتاب والسنة والإجماع والقياس)

(١) البحث الأدبى د/شوقى ضيف صـ٨٠ .

وهو المسمى بعلمِ (أُصُولِ الفِقْهِ)،وعلــومِ (النحــو والتصريــف وأصولِ اللغة، والمعاجم)٠ ومن العلوم التى أخذ المسلمون فيــها بالقاعدة الثانية (الملاحظة والتجربة) الطبُّ والفلكُ والرياضيــاتُ والجغرافيةُ٠ وقد استفاد الأوربيون من المنهج العلمى الإســلامى فى العصور الوسطى الأوربية عن طريق ترجمةِ الفكر العربــى الإسلامى إليهم واحتكاكِهِمْ بــه وبالحضــارةِ الإســلاميةِ التــى ازدهرت فى بلاد الأندلس لزهاءِ ثمانمائة عام من بداية القــرن الثانى الهجرى إلى أواخر القرن التاسع الهجرى (أوائل القــرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلاديــن) وكذلــك احتكــاكِ الأوربيين بالمسلمين فى أثناء الحروب الصليبية التى اســتمرت لقرنين من الزمان(السادس والسابع) الهجريين (الثانى عشــر والثالث عشر) الميلاديين٠

ونادى مفكرو الأوربيين مثل (روجر بيكون) فى (القــرن الثالث عشر الميلادى) بضرورة (الاستقراء) فى العلوم، وكذلــك بالملاحظة والتجربة، وهما الأساسان اللذان وضعهما المســلمون لعلومهم وجاء (فرنسيس بيكون) ليؤسس (المنطق الحديث) علــى أساس استبعاد المنطق الأرسطى، فى (القــرن الســابع عشــر الميلادى) وَتَبَنِّىِّ المنهج العلمىِّ العربىِّ وجاء المفكر الفرنســـى (ديكارت) فى منتصف هذا القرن المشار إليه لينــــادىَ ــ كمــا نادى المفكرون المسلمون بتحليــــل المشــكلات العلميـــة إلـــى

(جزئيات) بسيطة حتى يمكنَ حلُّها على خيرِ وجـهٍ وبالاعتمـاد على نظرية الاستقراء والاحصاء ودراسة الظواهر ورصدها مع الجمع بين التفكير النظرى والتجربة كلما أمكن ذلك[١].

يقول الدكتور (إبراهيم مدكور) فـى هـذا الموضـوع[٢] "عنيت الفلسفة الإسلامية بالبحث العلمى ووضعت أساس المنـهج التجريبى، وغَذَّتْ الحركةَ العلميةَ فى جامعاتِ أوربا إبان (القرن الثالث عشر الميلادى) ولم يبق اليوم شك فى أن (روجر بيكون) الذى يُعتَبَرُ الجدَّ الأعلى للمنهج التجريبى (عند الأوربيين) والذى نجح فى إرسائه (فرنسيس بيكون) فى القرنين (١٦،١٧) الميلاديين هو بدوره تلميذٌ مخلصٌ للفيلسوفِ والعالمِ المفكـرِ الإسـلاميِّ (ابنِ سينا) (المتوفى عام ٤٢٨هـ) أى فى أوائل القرن الخامس الهجرى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى".

وقد طُبِّقَ المنهجُ العلمى العربى الإسلامى علـى أيـدى أعظمِ الباحثين فى تاريخ الإسلام، بل وفى تاريخ البشرية فـى شتى العلوم من شرعية ولغوية وأدبيـة واجتماعيـة وطبيعيـة وكونية، من عمالقةِ العلمِ، وعباقرةِ الفكر، ففـى علـم (الفقـه الإسلامى) وما يتصل به نرى الأئمةَ الأربعةَ المجتـهدين (أبـا

---

(١) المرجع السابق صـ٨٤ .

(٢) فى كتابه (فى الفكر الإسلامى) ط. شركة سميركو للطباعة والنشر القاهرة عـام ١٩٨٤م.

حنيفة) و(مالكا) و(الشافعى) و(أحمد بن حنبل)، ولاسيما (محمد بن إدريس الشافعى) واضع علم الأصول، والذى قيل فيه :"ما من صاحب محبرة إلا وللشافعى عليه منة" مع الخُلُقِ الرضىِّ والسلوكِ المِثالى، ولا نغمطُ أقرانه الثلاثة المذكورين معه حقوقهم، فإنهم لبحارُ علْمٍ، وأساطينُ نُبْلٍ وفضْل.

وما الإمام المجتهد فى الفقه الإسلامى إلا (باحثٌ عظيمٌ)، أفنى عمره فى خدمة البحث العلمى، والاستنباط العقلى، والتأليف والإملاء، متجردا لمهمته الجليلة، فى خدمة العلم والدين والمجتمع الإنسانى، زاهدا فى الدنيا معرضا عن حطامها الزائل، وقد كَوَّن كل منهم مدرسة من العلماءِ النبلاءِ، والباحثين المخلصين الأوفياء، ملأوا الدنيا علما وأَثْرَوْا البحوثَ الفقهيةَ التى تناولت كل شئون الحياة ببيان أحكامها الصحيحة من مصادرها فى الكتاب والسنة والإجماع والقياس، مع سعةِ الأفق فيما يجدُّ من الأقضيةِ، باستلهام روحِ الشريعةِ، واحترامِ ما تواضع عليه الناس من (عُرْفٍ) سَوِىٍّ لا يصادمُ أصلاً من أصول الدين، ثراءً لا نظيرَ له (فى علومِ التشريع) فى أىِّ أمةٍ من الأمم، على مستوى التاريخ البشرىِّ فى كلِّ العصور.

لقد نهضت العلوم بشتى أنواعها بسبب ما وضعه العرب والمسلمون من قواعد (المنهج العلمى) المرتكز ــ كما أشرنا ــ على الأصلين العظيمين: (الاستقراء) و(الملاحظة والتجربة)

ويقول الدكتور(شوقى ضيف)[١] عن الأصل الأول (الاستقراء):
"ومن أهم البحوث العلمية التى توضِّحُ مدى أخذ العرب بالاستقراء (علمُ النحوِ)، فقد قام على الاعتماد اعتمادا تاما على السماع، سماع القرآن الكريم فى لغته المُثْلَى، والسماع عن البدْوِ الخلَّص الذين يوثق بفصاحتهم، من أهل الحجاز، و(نجد) و(تهامة)، وجعلوا ذلك أساسا لا يُنْقَضُ لقواعده، فلابد فى كل قاعدة من استقراء واسع تعتمد القاعدة عليه، وهى لا تُبنَى إلا على الأعم الأكثر، ومثلها(القياس) فلا يُقاس على شاذٍّ، ولا على ما ورد فى ضرورةِ الشعر، إنما يقاس على الكثرةِ الغالبة من الاستقراءِ الدقيق"أهـ.

ومن أعظم الباحثين فى (الشُّعبةِ اللغويةِ) من العلوم العربية منذ القرن الثانى للهجرة: (الخليلُ بنُ أحمدَ) م١٧٥هـ نابغةُ العربِ، ومخترعُ عِلمىْ (العروض والقافية) الذى استقرأ أشعار العرب الذين يُحتجُّ بشعرهم ليقنِّنَ (بحور الشعر العربى)، ويحصرَ أوزانه الموسيقية، فى جَهْدٍ علمى فريد فى بابه، غيرِ مسبوق.

ومنهم تلميذا الخليل الكبيرين (سيبويه) و(الأصمعىّ) ومنهم (الكسائىّ) و(الفراء) وفى (النحو واللغة) نشأت مدارس بحثية من أهمها (مدرسةُ البصريين) و(مدرسةُ الكوفيين)

---

(١) البحث الأدبى: طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره ص٨٠ .

(ومدرسةُ البغداديين)، وكان بين علمائها مساجلات وأبحاث قيمة.

أما الأساس الثانى للمنهج العلمى العربى (الملاحظة والتجربة) فَيُعَدُّ سبقا عظيما للمسلمين، وقد ترتب عليه ما ترتب من نهضات علمية وحضارات إنسانية، وقد طُبِّقَ على أيدى علماء راسخين، وباحثين أمناء خالدين فى الطب والموسيقا والصيدلة والكيمياء، والفلك والجغرافية من أمثال: (الكِنْدِىّ) و(الفارابىّ) و(ابنِ سينا) و(الرازىّ) و(ابنِ الهيثم) و(المقدسىّ) و(الإدريسىّ) و(ابنِ رُشْد) و(ابنِ النفيس) و(البيرونىّ) و(الخوارزمىّ) واضع (علمِ الجَبْرِ) و(الزَّهْراوىّ) ومئاتٍ بل ألوفٍ من تلاميذهم فى الشرق والغرب، يقول الدكتور (إبراهيم مدكور) [١] :"وإذا كان العرب قد أَخَذُوا عن غيرهم، فإن لهم أَصَالَتَهُمْ وإسهامهم... فكانت لهم (مشاهداتُهُم وتجارِبُهُم)، كما كانت لهم مَعَامِلُهُمْ ومراصِدُهم" ويقول فى موضع آخر :"عن طريق الثقافةِ العربيةِ نَفَذَ اللاتين إلى الثقافة اليونانية (وانتفعوا بها وبما أخذوه من الثقافة العربية فأسهم العرب فى نهضة أوربا، وربطوا التاريخ القديم بالتاريخ الحديث"[٢].

---

(١) فى كتابه: الفكر الإسلامى ص١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ص١١٧ .

٣-(المنهج الطبيعى) [١]:

فى مطلع القرن(التاسعَ عَشَرَ) الميلادى — أى منذ قرنين من الزمان — بعد نهضة العلوم الطبيعية فى أوربا، ظهر لدى الأوربيين منهج فى البحوث الأدبية تأثر بهذه العلوم، تَزَعَّمَهُ المفكرُ (سانت بيف) ١٨٠٤-١٨٦٩م والمفكران (تين) ١٨٢٨م و(برنتيير) ١٨٤٩-١٩٠٦م- وحاولوا فيه وضعَ قوانينَ ثابتةٍ (للبحث الأدبى)، خلاصتُها أن الأديب ليس كيانا مستقلا بل هو ابن بيئتِهِ وعصره وجنسِه بالإضافة إلى الأحداث التى مرت به فى حياته، فهو ثمرة عوامل أَدَّتْ إلى تكوينه جسميا وعقليا وعاطفيا، وهو يَصْدُرُ عنها صدورا (حتْميا جبْريا)، فينبغى فى نظرهم أن يُدْرَسَ الأديبُ من كل هذه الجهات ثم يُسْتَبْعَدُ الفَرْدِىُّ فيه، ويُؤْخَذُ الجَمَاعِىُّ، ليوضَعَ فى مكانه الصحيح من الأُسْرَةِ (والفصيلةِ الأدبية)، فما الأدباء فى رأيهم إلا (فصائلُ) كفصائل الحيوانِ والنباتِ، كما حاول ثالثهم وهو (تين) ربطَ هذا المنهج بنظريَّةِ (النشوءِ والارتقاءِ) لداروين، المتعلقة بتطور الكائنات الحيَّة عن بعضها البعض حسب تفسيره.

وقد اعترض كثير من النقاد من أوربيين وغيرهم على هذا المنهج الطبيعى وفَنَّدَهُ الدكتور(شوقى ضيف) فى كتابه الذى أشرنا إليه ونحن معه ومع من عارض هذا المنهج، لأن

---

(١) لخصنا هذا المنهج من كتاب د/ شوقى ضيف (البحث الأدبى) مبحث (مع العلوم الطبيعية) من ص٨٥ —إلى ص٩٥ .

فى تطبيق قواعد الدراسات الطبيعية فى (الحيوان والنبات) على الإنسان تَعَسُّفاً ظاهرا، وإغفالا غيرَ مقبول لما ميز الله به الإنسان على سائر الكائنات من عقلٍ واختيار وتفرُّدٍ فى شخصيته تجعل كل إنسان مختلفا عن الآخرين، وإذا كانت هناك خصائصُ مشتركة بين مجموعة من الأدباء، فذلك يجمع أصحابَ هذه المجموعةِ فى (مَدْرَسة أدبية)[1] معيَّنَة ولكنه لا يَنْفِى انفرادَ كلٍّ منهم بذاتِهِ وتميُّزَهُ عن الآخرين.

٤-المنهج الفنى:

ويرتكزُ البحثُ فيه على قواعدِ العلومِ اللغويةِ من (نحوٍ تصريف) ومتن لغة بوجه عام وعلى علوم (البلاغة) بوجه خاص ولا يُغفل أسسَ علمى (العروض والقافية) بالنسبة للشعر كذلك. ويهتمُّ (بالصياغةِ الأدبيَّةِ) وعناصرِها وأسرارِ جمالِها فى الكلمات والأساليبِ كما يعتمد على كثرةِ الروايةِ للشعرِ والإحاطةِ بفنون الأدَب وبفهمِ الأقدمين لها وتصوُّرِهِمْ إياها، ويوازنُ بين النصوص الأدبيةِ ويقارنُ بين الأدباء واتجاهاتهم وطَابَعِ كلٍّ منهم فى الأغراض المختلفة وفى المعانى والأساليب ويكشف عن أخذِ لاحقيهم من سابقيهم ويبيّنُ أوجهَ تقصيرِهم أو إحْسَانِهم وهذا المنهجُ هو الغالبُ على البحثِ الأدبىِّ. العربىِّ القديم وبخاصة البحوث النقدية ومن أعلامه القدماء (الجاحظُ)

---

(١) لا (فصيلة) كما يقولون!

(والمبردُ) و(الآمِدِيُّ)، و(عبدُ العزيزِ الجُرْجَانِيّ)، و(أبو هـــلالٍ العسكريُّ)، و(ابنُ رشيقٍ القيروانيُّ) (وابـــنُ سِـــنانٍ الخفـــاجيّ) و(ابنُ الأثير) وممن تأثر بهذا المنـــهج فـــى العصـــر الحديـــث المرحومُ (مصطفى صادق الرافعيُّ) [١] والشيخُ (سيدُ بنُ علـــيٍّ المرصفيُّ)[٢] والشيخُ (حَمْزَةُ فتح الله)[٣].

٥-المنهج النفسي:

ويعتمد البحث فيه على (الدراسات النفسية) التى تَبْحَـــثُ عن الصِّلةِ بين(النصِّ الأَدبيِّ)وبين(الحالةِ النَّفْسيَّةِ)التـــى دفعـــتْ الأديبَ لإخراجه،وتحديدِ نوعيتها ومدى حرارتـــها وصدقـــها أو زَيْفِها، ويُعْنَى هذا المنهجُ كذلك بدراسة(حياة الأديـــب)وتكوينـــهِ النفسيِّ والعاطفيِّ وكلِّ ما يتصل بحياتِهِ الخاصَةِ وما مرَّ به مـــن أَحداثٍ سَارَّةٍ أو مؤلمةٍ وبيانِ أثر كلِّ ذلك فى أدبِهِ.فإنَّ فهْمَ نفسيةِ الشاعرِ (على سبيل المثال) من الداخل خيرُ معوانٍ وأقوى ضوءٍ يُوَجَّهُ إلى نتاجه فيكشف عن أسرارِهِ وأبْعَادِهِ الحقيقية ويُفَسِّر مـــا فيه من رُمُوز.

---

(١) أديب من كبار أدباء العصر الحديث يغلب على أدبه الاتجاه الإسلامى توفى عـــام ١٣٥٦هـــ ١٩٣٧م وراجع كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ط. دار المعارف فـــى ثلاثة أجزاء.

(٢) صاحب كتاب (رغبة الأمل من كتاب الكامل).

(٣) صاحب كتاب (المواهب الفتحية فى علوم اللغة العربية).

وَنقّادُ العصرِ الحديثِ أَمْيَلُ إلى هذا المنهجِ فى أَبحاثِــهم، ومنهم (العقادُ) و(المازنىّ) و(طَهَ حُسَين).

٦-المنهج التاريخى:

وهذا المنهج مكمل للمنهج النفسى، ويعتمدُ ــ إلى جــانب دراسة حياة الأديب الخاصة ــ على دراســة حياتــه العامــة، وتاريخ عصره وبيئته، فيربطُ بين الأديبِ وبين(أحداثِ العصــر) ومشكلاتِ(البيئة)ويبينُ موقِفَهُ من تلك الأحداث وهذه المشكلات. وهو حين يدرسُ العصرَ، والبيئةَ اللذين عاش الشاعر فى ظلهما يحاولُ تغطيةَ كل جوانبهما السياسية والدينية والثقافية والطبيعية، وينظر مدى انطباعِ الشاعرِ أو الكاتب بطابَعِهما وتفاعلِهِ معــهما تَأَثُّرا وتأثيرا وأىّ التيارات التى سادتهما كان أشــدَّ جذْبًــا لــه وأظهرَ فى أدبه، والصِّلةُ بين هذا المنهج وبين البحــث الأدبــى قويّة لأن التاريخَ إطار للأَدَب، والأَدَبُ مِنْ مكوِّنــاتِ التــاريخ، كلاهما يخدمُ الآخرَ وَيُكْمِلُ ما قد يوجد فيه من نقــص، ويسـدُّ الفجواتِ، ويوضِّح كثيرا من خفاياهُ وأسرارِه، وهو منهج عظيـم الفائدة فى تصنيف الأجناس الأدبية وتتبُّعِ تطوُّرِهــا علــى مــرِّ العصور وفى مختلف البيئات، والاتجاه إلى هذا المنــهج قــدرٌ مشتركٌ بين النُّقاد القُدامَى والنقاد المحدَثين.

٧-المنهج التكاملى:

وينبغى لنا بعدَ هذا العرْضِ الموجَزِ لأهمِّ مناهجِ البحثِ أنْ ننبِّهَ إلى أنَّ منْهجاً واحدًا من هذه المناهجِ قد يغلبُ على البــاحِثِ ولا بأسَ بذلك لكنه لا يكْفِى أنْ يستقلَّ منفــــردًا عــن المنــاهج الأخرى. والواجبُ الاستعانةُ بهذه المناهِجِ كُلِّها فى النظرِ إلـــى الآثارِ الأدبيةِ وبَحْثِها ونَقْدِهَا لتكونَ النظرةُ أشملَ وأكْمَلَ وأعْظَـمَ أبْعَادًا، ففى كلٍّ منها مَزِيَّةٌ لا يَسْتَغْنِى عنها الباحثُ ليكونَ بَحْثُــهُ وافياً وحينئذٍ يكونُ المنهجُ الأمْثَلُ هو (المنهجُ التَّكــامُلِىّ) الــذى نادى بِهِ نقادُ العَصْرِ الحديث[1].

---

(١) راجع كتاب النقد الأدبى (لسيد قطب) وكتاب البحث الأدبى طبيعتــــه ومناهجــه أصوله ومصادره د/ شوقى ضيف ط. دار المعارف بمصــــر عــام ١٣٩٦هـــ ١٩٧٦م.

خَاتِمَةٌ

(فى صِفَاتِ البَحْثِ النَّاجِح)

ونوجزُ هنا ما بيَّنَّاه بالتفصيل فيما سبق مع بعض التنبيهات الضروريةِ حتى يكون البحثُ جيدا ناجحًا جديرًا بالقبول، فنقول وبالله التوفيق:

١-إنه (العملُ المتكاملُ) الذى ينطبقُ عليه مفهومُ البحث، بحيث تُسْتَوْفَى فيه أركانُهُ، وتُستكملُ مراحلُهُ، ولا يُغْفَلُ شرطٌ من شَرَائِطِهِ من التوثيقِ والتحقيقِ والضبطِ، والتَّحَرِّى والدقةِ، والإحاطةِ بكل جوانبِ الموضوع.

٢-والبحثُ الجيدُ هو (ما استغَلَّهُ الباحثُ) بحشْدِ الجُهْدِ، وتوفيرِ الوقتِ والإقبالِ على العمل، وطلبِ المراجعِ فى مَظَانِّهَا، والاستكثارِ من القراءةِ فيها وانتخابِ أفضلِها لجمْعِ مادةِ البحْث.

٣-والبحثُ الناجحُ هو ما اتصفَ صاحبه (بِحُبِّ الحقيقةِ ونِشْدانِهَا) والرغبةِ الصادقةِ فى الوصولِ إليها عن طريقِ البحث.

٤-والبحثُ الأدبىُّ الجيدُ هو مَا أَلَمَّ صاحبُهُ (بالمناهج العلميةِ) للبحثِ فى العلومِ الأدبيةِ، ليفيدَ من توجيهاتِها، ويقفَ على طرقِها، ويختارَ منها ما يلائمُ بحثَه ويوافقُ موضوعَه،

ليسيرَ على هُدًى ونورٍ، فيعرفَ مكانَهُ ويحدِّدَ طريقَهُ ولا يضلَّ في شِعَابِهِ ومَسَارِبه.

٥-وَمِنْ أَهمِّ صِفَاتِ البحْثِ الجَيِّدِ (الْبَرْهنَـــةُ والتَّعْليــلُ)، فيستدلُّ الباحثُ على كلِّ قضيَّةٍ تُسَاقُ،ويُعَلِّلُ لكلِّ رَأيٍ يُعْــرَضُ، وَيُنَاقِشُ آرَاءَ الآخَرِينَ ، وَأَنْ يَسْلُكَ إلى ذَلكَ طريقَ الأَدِلَّةِ العَقْليةِ ، والبَرَاهِينِ المنطقيَّةِ ، والتَّعْليلاتِ المُقْنِعةِ ، والمناقشةِ الهادئةِ الهَادِفة.

٦-ومن أَهَمِّ الصِّفَاتِ أيضاً: (المَوْضُوعيَّةُ والْحِيَادُ)، فَــلاَ تَعَصُّبَ أَعْمَى للموضُوعِ، ولا لنُصْـــرَةِ فكــرةٍ أَوْ هَدْمِــها، وَلاَ انْحِيازَ لرأْيٍ أو شخْصٍ قبل التَّثَبُّتِ والاقْتناعِ وطَــرْحِ البرهــانِ وإقامةِ الدَّليل، ولا إِدْخَالَ للهَوَى وَالْغرَضِ في الموضوع، فَإِنَّهُمَا مُفسِدَانِ للحُكْمِ مُبْعِدانِ عن الصَّوابُ.

٧-وَمِنْ أَلْزَمِ صفاتِ البحث (الأمانةُ العلميةُ) بِعَــزْوِ كُــلِّ رَأْيٍ لصاحِبِهِ وكل نصٍّ لمصْدَرِهِ، وَوَضْعِ (علاماتِ التَّنْصِيــصِ) عندَ أوائلِ النصوصِ المقتبسةِ وَأَواخِرِها[1] وإسنادِ كل فضيلـــةٍ لمن يستحقُّها والبعدِ تماما عن ادِّعاء كلامِ الغَيْرِ، فإن ذلك يُعَــدُّ (سَرِقَةً عِلْمِيَّةً) وسَطْواً على جُهُودِ الآخَرِيــنَ، وتَمْوِيــهًا علــى القارئِ، بِحِيلَةٍ مكْشُوفَةٍ، وَرَذِيلَةٍ مفْضُوحَة، فضْلاً عمَّا فِي هــذا السُّلُوكِ من احْتقارٍ للنفسِ وَامْتِهانٍ لِكَرَامةِ العِلْمِ والعُلَمَاء.

---

(١) علامات التنصيص ما تميز به النصوص النثرية: "..." ويراعى عدم الخلــط بينها وبين الأقواس والأهلة ( ) التى توضع بينها (الأعلام).

٨-وَمِنْ مَحَاسِنِ البَحْثِ أَنْ يبتعدَ الباحثُ عن (التَّكْرَارِ المُمِلِّ)، وعنْ (كَثْرَةِ الاقتباسِ منْ كلامِ الغيْرِ) فلا يَقْتبسُ إلاّ لحاجةٍ، ولا يَنْقُلُ إلاّ لضَرُورةٍ، وفى حُدودِ الاسْتشهاد المطْلوبِ والاسْتدلالِ فى غيرِ إسرافٍ، وَألاّ يكُونَ البَحْثُ أَوْ مُعْظَمُهُ (مُجَرَّدَ نُقُولٍ)، خاليًا من التحليلِ والتعليقِ، والتَّصَرُّفِ والتَّعْقِيب.

٩-ومن محاسنه كذلك (ظُهُورُ شَخْصِيَّةِ الباحِثِ فى بَحْثِهِ) — إذا عمل بالتوجيه السابق — فيكونُ لهُ رأىٌ يُدْلِى به فى كلِّ قضية تُعرَضُ، ومناقشةٌ لكل نُقْطَةٍ تُثَارُ، وتعقيبٌ على كل نَصٍّ يستشهد بِهِ، وهذا يؤدِّى إلى ظُهُورِ شخصيتِهِ، وعَدَمِ تَوَارِيهَا وَرَاءَ كَلامِ الآخَرِين.

١٠-وَمِنْ صِفَاتِ البحْثِ الجَيِّدِ الأَسَاسِيَّةِ أَنْ يَتَّسِمَ (بالمنطقيةِ) والصِّحَّةِ العِلْمية، وذلك يقتَضِى خُلُوَّهُ مِنْ (التَّنَاقُضِ والمُحَالات والأَخطاءِ العلميةِ والمعْنَوِيَّةِ)، وأَنْ يخْلُوَ مِن الغُمُوضِ وَالإبهامِ وسُوءِ الفَهْمِ لِمَا يَعْرِضُهُ الباحثُ مِنْ قضايا وآراء.

١١-ومن أَعْظَمِ مَطَالِب البحثِ الجيِّدِ، (العِنَايَةُ بِصِيَاغَتِهِ) فِى (أُسْلُوبٍ جَمِيلٍ) وَعِبَارَاتٍ طَلِيَّةٍ جَذَّابَةٍ، ويسْتلزِمُ ذلك (سَلامَةَ

أُسْلُوبِهِ مِنَ الأَخْطَاءِ بِأَنْوَاعِهاَ) مِنْ نَحْوِيَّةٍ وصَرْفِيَّةٍ وَإِمْلائِيَّةٍ، تِلْكَ التى إِنْ وُجِدَتْ فإِنها تُزْرِى بالبحثِ، وَتُسْقِطُهُ سَقْطَةً لاَ قيامَ لَـهُ مِنْ عِثَارِهَا، ومما يُتَمِّمُ ذلك عِنَايَةُ الباحثِ (أَشَدَّ عِنَايَةٍ) (بعلاماتِ التَّرْقِيم) مِنْ(فَصْلَةٍ وَنُقْطَةٍ وَأَقْوَاسٍ، وَعَلاَمَاتِ اسْتِفْهَامٍ وَتَأَثُّرٍ، وَعَلاَمَاتِ تَنْصِيصٍ وَهوامِش) .

١٢-وَمِنْ مَحَاسِنِهِ أَنْ يُحِسَّ القارئُ أَنَّهُ حَصِيلَةُ ثقافةٍ واسعةٍ وقراءةٍ مُسْتَوعِبَةٍ فى موضوعِهِ، (غزيرَ المادَّةِ عميقَ الفِكرة)،

١٣-وأن (يتأنَّى الباحثُ) فِى كلِّ مرحلةٍ من مَرَاحِلِهِ فلا يتعجَّلُ إِخراجه قبلَ نُضْجِهِ واكْتِمالِهِ، ولا يتسرَّعُ فى إِصدارِ الأحكامِ أو اتِّبَاعِ الغَيْرِ فِيها دونَ تَرَيُّثٍ وَاسْتِبْصَار [١].

١٤-ومن فَضَائِلِهِ الكُبْرى: محاولةُ (الابتكارِ وَإِضَافَةِ الجَدِيدِ فِى موضوعه) وحُسْنُ الاسْتِنْباطِ من الآراءِ النظرياتِ والإِتيانِ (بأمورٍ ذاتِ بالٍ) لمْ يُسْبَقْ إِليها الباحث،

١٥-وَمِمَّا يُتَمِّمُ هَذِهِ الفَضِيلةَ (تَوَاضُعُ البَاحِثِ) وَطَرْحُ العُجْبِ والخُيَلاَءِ حتى لو اهْتَدَى لِشَئٍ جَدِيدٍ، أَوْ رَأْيٍ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَدِيد،

---

(١) (فالزمن) جزء من علاج أى مشكلة كما يقول الحكماء،

١٦-ومن صفات البحث الناجح:

(تَجَنُّبُ الأَسَالِيب الخَطَابِيَّةِ الْجَوْفَاءِ) فإنها تَعِيبُ البَحْثَ، وَلاَ تُضيفُ شيئًا إلى العِلْم، وَلاَ تَحْظَى بِاحْتِرَام القَارِئ، والمطلوبُ بَدَلاً مِنْها هو الأُسْلُوبُ (العِلْمِيُّ المُتَأَدِّبُ) الذى يَجْمَعُ بَيْنَ الدِّقَّةِ العِلْمِيَّةِ وَجَمَالِ العِبارَةِ، كمَا أَشَرْنا مِنْ قَبْلُ.

١٧-وَأَخِيرًا: أَنْ يكونَ للبحثِ هدفٌ مُعَيَّنٌ نبيلٌ، يسعى إِلَيْهِ الباحثُ وهو: الوُصُولُ إِلَى الحَقَائِقِ المتعلِّقَةِ بالموضوع، وَتَجْلِيَتُهَا وَإِبْرَازُهَا فى أَوْضَحِ وَأَكْمَلِ صُورَةٍ مُمْكِنة، حَتَّى يَتَحَقَّقَ وَيَتَيَسَّرَ الانتفاعُ بِها والبناءُ عليْها، بالإِضَافِةِ إِلَى الهَدَفِ العَامِّ وهو خِدْمَةُ العِلْم، وَإِعْلاَءِ صَرْحِهِ، وَإِضَافَةُ لَبِنَةٍ قَوِيَّةٍ صَالِحَةٍ لِبنائِهِ الشَّامِخ، وَالإِسْهَامِ فِى نَهْضَةِ المُجْتمع البَشَرِيِّ وابْتِغَاءِ رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَفِي خِتَامِ هذه الدراسةِ النظريةِ عن (البَحْثِ الأدبِيِّ) مفهومِهِ ومقوّماتِهِ مناهجِهِ وتَطْبيقاتِهِ التى اشتملتْ على (خَمْسَةِ أَبوابٍ) تضمنتْ (اثنى عَشَرَ فَصْلاً) والتى حَاولتُ فيها جَهْدَ طاقتى تغطيةَ كلِّ الجوانبِ التى تمسُّ الموضوعَ وتَجْليتَها للباحِث المبتدئ، أحمدُ اللهَ تباركَ وتعالى الذى وفَّقنِي وَأَعانني على هذا الجُهْدِ الشَّاق، والمُهِمَّةِ الصَّعْبَة.

وَأَنْتَهِزُ هَذِهِ الفُرْصَةَ لِأَشِيدَ بِأَسَاتِذَةٍ كِـرَامٍ، وَرُوَّادٍ عِظَـامٍ سَبَقُونِى إِلىَ هذا الموْضُوعِ، وَأَفَدْتُ منهُمْ فِى بَحْثِى هَـذَا أَعْظَـمَ إِفادَةٍ مثل الأستاذِ الدكتور (شوقى ضيف) فى كتابِهِ المُنَـوَّهِ بِـهِ والأستاذِ الدكتور (أحمد شلبى)فى كتابه:(كَيْـفَ تَكْتُـبُ بحثًـا أَوْ رِسَالَة)داعياً اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْزِيَهُمْ عن العِلْمِ والبَحْـثِ خَـيْرَ الجزاءِ كما أدعوهُ سبحانَهُ أن يتقبلَ مِنى هذا العملَ الذى أَرْجُـو أَنْ يكون خالصًا لوجْهِهِ العظيم وأَنْ ينفعَ بِهِ قَارِئِيهِ ودَارِسِيهِ، وأنْ يُعْلِيَ شَأْنَ اللغةِ العربيةِ، والثقافةِ الإسْلامِيّة إنهُ سـميعُ الدُّعَـاءِ، مُجِيبُ النِّداءِ. وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينْ.

الْفَهَارِسُ

١ -فِهْرِسُ المَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ
٢ -فهرسُ الْمَوْضُوعَاتِ

١-فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. المصحف المفسر محمد فريد وجـــدى ط٠دار المعـــارف ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م٠

٣. تفسير الكشاف محمود بن عمر الزمخشرى ط٠الاســتقامة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م٠

٤. تفسير القرآن العظيم الحـــافظ بـــن كثـــير ط٠القـــاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م٠

٥. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبـــد الباقى ط٠دار الشعب بالقاهرة ١٣٧٨هـ٠

٦. الإمام الشافعى عبد الحليم الجندى ط٠دار القلم بالقـــاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م٠

٧. الأعلام خير الدين الزركلـــى ط٠بـــيروت ١٤٠١هـــ/ ١٩٨٠م٠

٨. إعجام الأعلام محمود مصطفى ط٠القاهرة ١٣٥٤هــــ/ ١٩٣٥م٠

٩. البحث الأدبى د/ شوقى ضيف ط٠ دار المعارف القـــاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م ٠

١٠. البداية والنهاية/الحافظ ابن كثير ط٠القاهرة ١٤١٢هــــ/ ١٩٩١م٠

١١. البيان والتبيين (للجاحظ) بشرح (حسن السندوبى) طبع المكتبة التجارية ــ القاهرة ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م٠
١٢. التاريخ الهجرى دائرة معارف الشعب ط٠دار الشعب بالقاهرة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م٠
١٣. التوجيه الأدبى/طه حسين وآخرون ط٠القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م٠
١٤. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع للمستشرق (فنديك) والشيخ/ محمد البيلاوى) ط دار الهلال بالقاهرة٠
١٥. الفهرست (لابن النديم)٠
١٦. تاريخ الخلفاء جلال الدين السيوطى ط٠القاهرة ب ت٠
١٧. تاريخ مصر والعالم القديم د٠جمال مختار ط٠القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م٠
١٨. تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى د٠محمد عبد المنعم العربى ط٠الزقازيق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م٠
١٩. تاريخ الأدب فى عصر صدر الإسلام د٠محمد عبد المنعم العربى ط٠الزقازيق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م٠
٢٠. تاريخ الأدب فى العصر الأموى د٠محمد عبد المنعم العربى ط٠الزقازيق ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م٠
٢١. تاريخ الأب فى العصر الذهبى د٠محمد عبد المنعم العزبى ط٠الزقازيق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م٠

٢٢. الصِّحَاح/إسماعيل بـــن حمـــاد الجوهـــرى ط٠القـــاهرة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م٠

٢٣. علم أصول الفقه محمد عبد الله أبـــو النجـــا ط٠القـــاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م٠

٢٤. فى الفكر الإســـلامى د٠إبراهيـــم مدكـــور ط٠القـــاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م٠

٢٥. القاموس المحيط د٠مجد الدين الفيروزابادى ط٠القـــاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م٠

٢٦. كيف تكتب بحثا أو رسالة د٠أحمد شلبى٠

٢٧. لسان العرب ابن منظور الإفريقى المصرى ط٠القاهرة

٢٨. محاضرات فى طرق تدريس اللغـــة العربيـــة د٠محمـــد عبدالمنعم العربى ط٠الزقازيق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م٠

٢٩. مفتاح السعادة،عصـــام الديـــن أحمـــد زادة ط٠بـــيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م٠

٣٠. المصباح المنير/أحمد بـــن علـــى الفيومـــى ط٠القـــاهرة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م٠

٣١. معجزة القرآن/محمـــد متولـــى الشـــعراوى ط٠القـــاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م٠

٣٢. من قضايا النقد الأدبـــى محمـــد عبـــد المنعـــم العربـــى ط٠القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م٠

٣٣. النقد الأدبى/سيد قطب ط٠القاهرة

٣٤. النقد الأدبى د/شوقى ضيـــف ط٠القـــاهرة ١٣٨٣هـــ/ ١٩٦٢م٠

٣٥. مجلة اللواء الإسلامى: عـــدد الخميـــس ٢٨مـــن رجـــب ١٤١٦هـــ ٢١من ديسمبر ١٩٩٥م٠

٣٦ - مذكرة فى علم المراجع العربية
للدكتور/ عبدالمنعم محمد عمر
(منسوخ على الآلة الكاتبة)

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله تعالى

مُلْحَقُ الْكِتَابْ

١ـ تَوْضِيحَاتٌ وَاسْتِدْرَاكَاتْ

٢ـ أُنْمُوذَجٌ لِبَحْثٍ أَدَبِيٍّ مُصَغَّرْ

رسمٌ توضيحيٌّ لهيكلِ البحث / مكوّناته وأركانه *

١ - الموضوع

٢ - المقدمة

٣ - المادّة

الباب الأول
- الفصل الأول
- الفصل الثاني
- الفصل الثالث

الباب الثاني
- الفصل الأول
- الفصل الثاني
- الفصل الثالث

الباب الثالث
- الفصل الأول
- الفصل الثاني
- الفصل الثالث

٤ - الخاتمة

٥ - الفهارس

(*) راجع ص ١١ من هذا الكتاب

سُلَّمٌ تَوضِيحِيٌّ

لِمَرَاحِلِ البَحْثِ وَطَرِيقَةِ السَّيْرِ فِيهِ★

١ - اختيار الموضوع وصياغة العنوان

٢ - جمع المادّة من المصادر والمراجع وتسجيلها.

٣ - تقسيم المادة إلى وحدات كبيرة هي (الأبواب)

٤ - " كل باب " " صغيرة هي (الفصول)

٥ - كتابة (المقدمة) ووضعها بعد (العنوان)

٦ - الخاتمة

٧ - الفهارس

(★) راجع صفحات ١١ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ من هذا الكتاب.

بحث أدبي مصغر

موضوعه :

الشعر في العصر الأموي
ملامحه وأغراضه وخصائصه الفنية *

بقلم
الأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم محمد عبد الكريم العربي

المقدمة

حمدا لك يا ربنا وثناء حسنا جميلا ، وصلاة وسلاما على محمد عبدك ونبيك ومصطفاك وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ونهج نهجه « ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا » (وبعد) .

فان العصر الأموى يقع فى تاريخ الإسلام موقعا فريدا بالغ الأهمية فهو كالجسر الذى يصل بين عصرين عظيمين متميزين :

أولهما (عصر صدر الاسلام) وهو عصر النبوة الهادية والفتوحات الباهرة ، والانتصارات المجيدة الرائعة ، والحياة الاسلامية المثالية ، وثانيهما (العصر العباسى) وهو عصر ازدهار الحضارة الاسلامية فى كافة مقوماتها الروحية والمادية ، وبلوغها أوج الرفعة والتقدم — يقف العصر الأموى بين هذين العصرين ليكون عصر إتمام الفتوحات الاسلامية لتشمل أهم أجزاء العالم القديم ، وتصل حدود دولة الإسلام الى الصين شرقا والمحيط الأطلسى غربا ، وإلى ماوراء التركستان فى آسيا شمالا وما خلف السودان فى أفريقية جنوبا ولتضم إليها جزءا من أوربا متمثلا فى بلاد الأندلس (أسبانيا والبرتغال) حتى حدود فرنسا . وجزءا من شبه القارة الهندية متمثلا فى اقليم السند ،

(*) نشر فى مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق (العدد السابع)
(١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)

ولتزحف الى (القسطنطينية) عاصمة الروم العتيدة فتدق أسوارها بعنف المرة تلو المرة مهددة بفتحها(١) •

وليكون عصر توسيع قاعدة الثقافة الاسلامية بوضع معظم علومها الشرعية واللغوية ، وبداية تدوينها والتأليف فيها ، وعصر انطلاق الفكر العربى الاسلامى الى آفاق علمية شتى نابعة من صميم ذاته ، منبثقة من ظروفه ومشكلاته ، دالة على أصالته وابتكاره ، وعصر الاطلال على الثقافات الأجنبية وبواكير التفاعل معها • فضلا عن كونه عصر نهضة الشعر وطفرته ، وقوة النثر ووثبته ، والعصر الخاتم من جهة سلامة اللغة وبراءتها ، ونجاة الشعراء والخطباء والكتاب من معرة اللحن وفساد اللسان ، وشوائب العجمة •

فهو — بحق — عصر حافل ، مثير للبحث ، حقيق بالدراسة فى شتى جوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية ، جدير بالاعتزاز بما وصل الينا من تراثه الأدبى الخالد •

(الملامح العامة للشعرى الأموى) :

يمتاز هذا العصر بنهضة الشعر وازدهاره ورواجه ، وازدياد الاهتمام به عن العصر السابق وباتخاذه طريقا للكسب ، واحراز الثراء على نطاق واسع • ومن جهة صياغته يمتاز بالفحولة والجزالة وبسلامته من اللحن والخطأ فهو ختام شعر القدماء الذين يحتج علماء اللغة بشعرهم ، كذلك يمتاز بكثرة غزله ومدائحه • ويتنافس (شعراء الحضر مع) شعراء البدو فيه مما ظفر به ظفرة عظيمة ، وامتاز أيضا بمحافظته على (عمود الشعر العربى)(١) الموروث عن العصرين السابقين

---

(١) فتحها المسلمون بعد ذلك بعدة قرون فى عهد الأتراك العثمانيين على يد السلطان (محمد الفاتح) عام ٨٥٧هـ — ١٤٥٢ م •

(١) المراد به المحافظة على نظام الشعر العربى وشكله من بنائه

(الجاهلية وصدر الاسلام) وبأنه يمثل الحياة الاسلامية الكاملة التى نشأت ونمت فى ظل دولة الاسلام وسلطانه « خالصة من شوائب الجاهلية فى الجملة »(٢) وبأنه العصر الذى نهض فيه (الرَّجَزُ) نهضة كبيرة وهو فن عن الشعر جاء على وزن سهل سماه الخليل عن العرب ببحر الرجز لكل شطر فيه قافية وربما تغيرت القافية من بيت الى بيت وأجزاؤه : (مستفعلن) ست مرات لكل شطر ثلاث تفعيلات . وقد نهض الرجز فى ا[illegible]ر الأموى حتى صار فنا مستقلا بازاء فن (القصيد) وهو الشعر من باقى بحور الشعر العربى الستة عشر التى استقصاها (الخليل) من أوزان الشعر القديم وابتكر لها أسماءها المعروفة من (طويل) و (بسيط) و (وافر) و (رمل) و (سريع) ... الخ . وكان الرجز فيما قبل العصر الأموى يكاد يكون مقصورا على البيت والبيتين والثلاثة يرتجل ويقال على البديهة فى مناسبات خاصة كمواقف المبارزة فى الحرب ، وفى حداء(٣) الابل فى الأسفار ، وندر فيه (الأرجوزة) الطويلة ، فلما جاء هذا العصر نشأ فيه فحول من أصحاب الأراجيز من الشعراء ، فطولوها ما شاءوا ونحوا بها منحى القصائد ، فضمنوها أغراضها من مدح وهجاء وفخر .. ومهدوا لها — كما فى القصائد — بالغزل وذكر الديار والوقوف بأطلالها ، وقصدوا بها الخلفاء والأمراء لنيل العطايا والجوائز . وأشهر هؤلاء الرجازين : (أبو النجم العجلى) واسمه (الفضل بن قدامة)(٤) وكان ينزل سواد (الكوفة) و (العجاج التميمى) وابنه (رؤبة بن العجاج) وهما من أهل البادية ثم نزلا (البصرة) وكانا

= على القصيدة أو المقطوعة وعلى وحدة الوزن والقافية فيهما وعلى بدء القصيدة بالنسيب وذكر الديار والوقوف عليها .

(٢) راجع المفصل فى تاريخ الأدب العربى ج١ ص ١٢٩ .

(٣) الحداء : حث الابل على السير بالغناء لها .

(٤) راجع الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى .

يقصدان دمشق وخراسان لمدح الخلفاء والولاة والقادة(٥) . ومنهم (دكين بن رجاء) من بنى فقيم(٦) الذى مدح عمر بن عبد العـــزيز واليا على المدينة ثم خليفة .

أسباب نهضة الشعر وازدهاره :

لنهوض الشعر وازدهاره فى ذلك العصر أسباب كثيرة أهمها :

١ ــ عروبة الدولة رجالا وسياسة ، وترحيب الخلفـــاء والولاة والرؤساء بالشعر والشعراء ، واستجادتهم له وروايتهم اياه ، واثابتهم عليه بالجوائز السنية .

٢ ــ نشؤ وكثرة الأحزاب السياسية من أموية وهاشمية وزبيرية وخوارج ، واحتياج كل حزب للتعبير عن مبادئه والدعوة لها والـــرد على خصومها بالشعر الذى كان له تأثـــيره وانتشاره ــ كالصحف فى عصرنا الحاضر .

٣ ــ حياة الفراغ بعد استقرار الأمور (لمعاوية) التى أدت الى حيـــاة الجب والغزل فى البوادى ، والى حياة اللهو والغنـــاء فى المدن والحضر ، وكلا الحياتين وجدتا فى الشعر ما يملؤها وبقى بحاجاتهما .

٤ ــ حيا ةالجد والزهد والفتح والغزو التى مال اليهـــا كثير من الشعراء بفضل الحركة الدينية التى قادها علماء وفقهاء ذلك العصر وما أكثرهم من طبقة التابعـــين تلاميذ الصحابة رضـــوان الله عليهم أجمعين ، والتى شجعها بعض الخلفاء الصالحين .

٥ ــ اهاجة كثير من خلفاء بنى أمية العصبية بين القبائل العربية وشعرائها ، ولاسيما بين (اليمانية) و (المضرية) ، لكى يشـــغلوا

---

(٥) راجع : التطور والتجديد فى الشعر الأموى للدكتور : شوقى ضيف .

(٦) راجع : الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى .

الناس بذلك عن شئون الحكم واغتصابهم الخلافة،وعن أمور السياسة واستئثارهم بها ، مما فتح بابا كبيرا للتفاخر والمهاجاة بين الشعراء ، وأحيا العصبيات القديمة التى كان قد أماتها الاسلام وأشهر ما أثر فى هذا الباب شعر (النقائض)(٧) بين جرير والفرزدق والأخطل وشعر من دخل معهم فى هذا الباب مؤيدا لأحـــدهم أو معاديا له (كالبعيث) و (الراعى النميرى) وغيرهما •

٦ ــ عناية علماء اللغة بالشعر والشعراء نقدا وموازنة وتفضيلا، فكان كل شاعر يتفنن ويجتهد ويبدع ، ليتقدم على غيره ، ولينبه ذكره باشادة هؤلاء العلماء •

أعلام الشعر فى العصر الأموى :

أنجب العصر الأموى عددا ضخما من الشعراء يطول بنا القـــول لو حاولنا احصـــاءهم ، فنكتفى بذكر مشاهيرهم ونابغيهم ، وبالنظر لاختلاف اتجاهاتهم السياسية ، وبيئاتهم المكانية وفنونهم الشعرية ، فاننا سنصنف هؤلاء المشهورين بحسب اتجاهاتهم السياسية ، وبحسب فنونهم الشعرية ، فمن شعراء السياسة : الكميت بن زيد الأســـدى وأبو الأسود الدؤلى وهما من شعراء الهاشميين ، والأخطل وأبو صخر الهذلى من شعراء الأمويين ، وعبيد الله بن قيس الرقيات ، وأبو وجرة السلمى من حزب آل الزبير،ومن شعراء الخوارج : قطرى بن الفجاءة والطرماح بن حكيم وعمران بن حطان ومن شعراء المدح والهجاء جرير والفرزدق ومن شعراء الغزل العذرى جميل بثينة وقيس ليلى وقيس لبنى ،وكثير عزة ومن شعراء الغزل الصريح عمر بن أبى ربيعة وعبد الله العرجى وأبو دهبل الجحمى ، والأحوص ومن شـــعراء الوصف والغزل ذو الرمة صاحب مية ، ومن شعراء ذلك العصر الذين خاضوا

---

(٧) جمعت النقائض فى كتاب ألفه أبو عبيدة معمر بن المثنى المتيمى المتوفى عام ٢٠٩هـ •

فى كثير من فنون الشعر أعشى ربيعة ، والنابغة الشيبانى ، والنعمان ابن بشير وحفيده شبيب ، وأيمن بن خريم وأبو الطفيل الكنانى وعروة ابن أذينة ومسكين الدرامى والمقنع الكندى وعبد الله بن الحجــاج وابن الطثرية ، وأبو جلدة اليشــكرى ومن الشــاعرات : الرباب بنت امرىء القيس الكلبية وسعدة أم الكميت وجويرية بنت خالد الكنانية، وعاتكة بنت زيد ، وليلى الأخيلية •

ويمكنك التعرف على اتجاهات هؤلاء الشعراء الأخيرين بالرجوع الى ترجمــاتهم وأخبــارهم فى كتب الأدب الكــبرى (كالأغــانى) و (العقد الفريد) فاطلب ذلك ثم •

أغراض الشــعر الأموى

تناول الشعر الأموى الأغــراض الكبرى التى تناولها الشــعراء الجاهليون والاسلاميون من قبل كالمدح والهجاء والوصف والغــزل ، والحماسة والفخر ، كما تناول الأغراض التى جدت فى عصر صــدر الاسلام كتأييد الدين الحث على تقــوى الله وطلب الآخرة ، ووصف الفتوح الاسلامية •

وظهرت فى الشعر الأموى أغراض جديدة كالشعر السياسى على أن صورة كثير من الأغراض القديمة قد تغيرت فى هذا العصر عمــا كانت عليه من قبل ، وسنتناول ــ بعون الله تعالى ــ بيان ذلك مع بيان أهم ما نشأ من الأغاض الجديدة •

١ ــ المــدح :

كان هذا الغرض من أغراض الشعر الجاهلى المعروفة فلما جــاء الإسلام حــد من مبــالغاته ، ونهى عن شــطحاته ، وأغنى النــاس بفتوحاته ، ففتر المديح فى عصر صدر الاسلام لاسيما وقد تحــرج الخلفاء الراشدون عن الإستماع اليه عملا بهدى الاسلام الذى ينكر الثناء بالباطل ولا يقر المدح الكاذب ولكن لم يلبث المديح أن نشط فى

عهد بنى أمية بسبب تشجيع الخلفاء الأمويين وولاتهم لشعرائه ، واغداقهم الأموال على قائليه ، فراجت سرقة أعظم رواج وأصبح طريقا مفضلا للكسب وجمع المال ، وتفنن الشعراء فى طرائفه واختراع العجيب من معانيه ليفوزوا برضا الخلفاء والولاة ويقتنصوا الثمين من جوائزهم وعطاياهم .

٣ ــ الهجاء والفخر :

وكان له شأنه فى الجاهلية نظرا لجو العداء والخصومات الذى كان يعيش فيه العرب ، وكثرة الحروب والمنازعات التى كانت تنشب بينهم مع ما طبعوا عليه من سرعة الغضب وشدة الحمية والرغبة المحمومة فى الأخذ بالثأر ، فلما أشرق الاسلام بنوره ، قضى على كل ذلك وأظلهم بسماحته وأخوته ، فتوارى الهجاء أو كاد وأوشكت صفحته أن تطوى من الشعر العربى حتى جاء العصر الأموى فبعث الهجاء من جديد ، واستيقظ من رقدته اذ وجد من الدولة تشجيعا خفيا وظاهرا ، واغراء من الشعراء بعضهم ببعض ، لالهاء الناس به عن الحكم والسياسة كما أشرنا من قبل ، فكثر الهجاء واستشرى أمره وظهر فى أقبح صورة وأفحش لفظ وأسوأ معنى ، وحسبك (النقائض) شاهدا ودليلا على مدى طغيان الهجاء فى هذا العصر وقد تميز الهجاء بالشدة والعنف والاقذاع ، والاشارة الى أيام العرب ووقائعهما القديمة واختلط بالفخر بالآباء والأجداد والطعن فى الخصوم وتجريحهم وذكر مثالبهم .

نماذج المدح :

قال (عبيد الله بن قيس الرقيات) (٨) فى (عبد العزيز بن مروان) والى مصر ، وكانت اقامته فى (حلوان) من قصيدة :

---

(٨) شاعر قرشى من أنصار الزبيريين فلما قضى عليهم اضطر الى مصانعة الأمويين ومدحهم .

سـقيا لحلوان ذى الكـروم وما
صـنف من تينه ومن عنبـه
نخل مواقـير بالغنـاء من الـبر
نـى غلب يهـتز فى شربـه(٩)
أسود سـكانه الحمـام فما تنـ
ـفك غربانـه عـلى رطبـه
لتهنـه مصـر والعراق ومـا
بالشـام من بزه ومن ذهبه(١٠)
أثن على الطيب بن ليلى اذا أثنيت
فى دينـه وفى حسـبه(١١)
من يصدق الوعد والقتال ويخشى
اللـه فى حلمـه وفى غضـبه
ومن تفيض النـدى يـداه ومن
ينتهب الحمـد عنـد منتهبـه
وقال من قصيدة يمدح فيها (مصعب بن الزبير) :
انمـا مصـعب شـهاب من الله
تجلـت عن وجهـه الظلمـاء
ملكـه ملك قـوة ليس فيـه
جـبروت ولا بـه كبريـاء
يتقى اللـه فى الأمـور وقد أفـ
ـلح من كان همـه الاتقـاء

---

(٩) مواقير : مثقلة ، البرنى نوع من البلح ، غالب متكاثفة ، الشرب حوض صغير تحت النخلة تروى منه .
(١٠) البز : ثياب القطن والكتان .
(١١) ابن ليلى : الممدوح ، والحسب : الشرف .

وقال (جرير بن عطيــة بن الخطفى)(١٢) يمدح (عبد الملك بن مــروان) :

أغثــنى يا فــداك أبــى وأمــى
بسيب منك انك ذوا ارتياح(١٣)

فانى قــد رأيت عــلى حقــا
زيــارتى الخليفــة وامتــداحى

سأشــكر ان رددت عــلى ريشى
وأنبت القــوادم فى جناحى(١٤)

ألســتم خــير من ركب المطــايا
وأندى العالمين بطون راح ؟(١٥)

وقال ذو الرمة (غيلان بن عقبة) يمدح (بلال بن أبى بــردة الأشعرى) والى البصرة من قصيدة طويلة(١٦) مطلعها :

أراح فــريق جــيرتك الجمــالا
كأنهم يــريدون احتمــالا(١٧)

وبعد مقدمة طويلة ذكر فيها رحيل أحبابه وتغزل بحسنهن وذكر (مية) محبوبته تخلص الى ذكر الممدوح فقال :

---

(١٢) ينتسب الى يربوع من تميم شاعر من فحول شــعراء هذا العصر .

(١٣) السيب : العطاء .

(١٤) القوادم : الريش الكبير فى مقدم جناح الطائر وهى كناية عن الاعزاز .

(١٥) المطايا : ما يركب من الابل وغيرها للسفر والراح جمع راحة وهى باطن الكف ، وأندى : أكرم .

(١٦) اشتهر ذو الرمة (بمية) ثم (بخرقاء) وهو أبرع من وصف الصحراء والابل وكانت وفاته ١١٧هـ .

(١٧) الاحتمال : الرحيل .

فبت أروض صـعب الهم حتى
أجلت جميـع مرته مجـالا(١٨)
الى ابن العـامرى الى بـلال
قطعت (بنعف معقلة) العدالا(١٩)

ثم ذكر رحلته اليه واصفا الصـحراء وناقته ، ثم ذكر شـعره ومحاسنه فقال :

وشـعر قد أرقت له غـريب
أجنبـه المسـاند والمحالا(٢٠)
فبت أقيمـه وأقـد منـه
قـوافى لا أعد لها مثـالا(٢١)
غـرائب قد عـرفن بكل أفـق
من الآفـاق تفتعل افتعـالا(٢٢)
فلم أقـذف لمؤمنـه حصـان
بحمد الله موجبـة عضـالا(٢٣)
ولم أمـدح لأرضـية بشـعرى
لئيمـا أن يكون أصاب مالا(٢٤)

---

(١٨) أروض الهم : أعالجه لاصرفه عنى ، أجلت الهم مجاله : وجهت وجهت وجهه الى الممدوح ، المرة : العقل والاحكام ٠

(١٩) قطعت العدال : قطعت الشك فى قصدى اليه (ونعف معقلة) مكان ٠

(٢٠) أرقت : سهرت،المساند:الشعر فيه سناد وهو عيب فى القافية

(٢١) أقيمه ٠٠٠ أصلحه وارتجله دوو تقليد ٠

(٢٢) تفتعل : تختلق وتبتدع ٠

(٢٣) حصان : عفيفة ، موجبة : توجب النار والحد عضال : داهية ومصيبة ٠

(٢٤) أى : لم أمدح لئيما لغناه ٠

ولكن الكـــرام لهم ثنـــائى
فلا أخزى اذا ما قيــل قالا(٢٥)

ســمعت النـــاس ينتجعون غيثا
فقلت لصيدح : انتجعى (بلالا)(٢٦)

نماذج من الهجاء والفخر :

قال (جرير) يهجو (الأخطل)(٢٧) وقــومه من (بنى تغلب) ويفتخر بمضر :

ان الذى حــرم المكـــارم تغلبــا
جعل الخــلافة والنبــوة فينــا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم
يا خزر تغلب من أب كأبينا ؟(٢٨)

هذا ابن عمى فى دمشق خليفـــة
لو شئت ساقكموا الى قطينا(٢٩)

وقال (الفرزدق)(٣٠) يهجو جريرا ويفتخر بقومه من قصيدة طــويلة :

---

(٢٥) أى لا يقول الناس عندما يروون شعرى : (أخزاه الله) وهذا على رواية ضم الهمزة وعلى رواية فتحها يكون المعنى : لا أســـتحى ولا أخجل .

(٢٦) ينتجعون غيثا يطلبون المطر ويخرجون للتعرض له ، (صيدح) اسم ناقة الشاعر ، وبلال : الممدوح .

(٢٧) شاعر نصرانى مدح خلفاء بنى مية ووصف الخمر ودخل فى المهاجاة بين جرير والفرزدق منتصرا للفرزدق .

(٢٨) الخزر : ضيق فى العيون .

(٢٩) القطين : الخدم .

(٣٠) أبو فراس همام بن غالب التميمى الدرامى أحد فحول شعراء العصر الأموى فى المدح والهجاء والفخر وقرين جرير فى النقائض .

ان الذى سمك السـماء بنى لنـا
بيتـا دعـائمه أعـز وأوطـول
بيتـا بناه لنـا المليك ومـا بنى
حكم السـماء فانه لا ينقـل
بيتـا (زرارة) محتب بفنائه
و (مجاشع) وأبو الفوارس(نهشل)(٣١)

ثم يقـول :

يا ابن المراغـة أين خالك اننى
خالى (حبيش) ذو الفعال الأفضل
خالى الذى غصب الملوك نفوسهم
واليه كان حباء (جفنة) ينقل(٣٢)
انـا لنضرب رأس كل قبيـلة
وأبـوك خلف أتانـه يتقمل(٣٣)
وشغلت عن حسب الكرام وما بنوا
ان اللئيم عن المكـارم يشـغل
ان التى فقئت بهـا أبصـاركم
وهى التى دفعت أباك الفيصل !

وقد رد عليه جـرير بقصيدة طـويلة منها : (والقيصـدتان من النقـائض) :

---

(٣١) المذكورين : أجداد الفرزدق .
(٣٢) « جفنة » جد الغساسنة أسره « حبيش » من أخوال الفرزدق ثم اطلقه فكان يرسل اليه كل عام بصلة .
(٣٣) الأتان : أنثى الحمار .

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا
وبنى بناءك فى الحضيض الأسفل
بيتا يحمم قينكم بفنائه
دنسا مقاعده خبيث المدخل(٣٤)
ولقد بنيت أخس بيت بيتنى
فهدمت بيتكمو بمثلى يذبل(٣٥)
انى بنى لى فى المكارم أولى
ونفخت كيرك فى الزمان الأول(٣٦)
كان الفرزدق اذ يعوذ بخاله
مثل الذليل يعوذ تحت القرمل(٣٧)

٣ ــ الغــزل :

وهو من أهمها راج وكثر وانتشر وتفنن فيه الشعراء الأمويون. وذلك لوجود دواعيه القوية فى البدو والحضر كما سنوضح ان شاء الله • وقد كان الغزل فى العصرين السابقين غرضا مرموقا لكنه كان يأتى غالبا تابعا غير مستقل بنفسه ، فيأتى فى افتتاحيات قصائد المدح والوصف والفخر وغيرها فلما جاء العصر الأموى استقل الغزل بالقصائد الكاملة والطويلة ، مع بقائه أيضا فى افتتاحيات القصائد الأخرى ، ولابد من التنويه عن انقسام الغزل الأموى الى نوعين متميزين هما :

---

(٣٤) يحمم : يدخن ، والقين : الحداد •

(٣٥) يذبل جبل بنجد •

(٣٦) كان أبو الفرزدق حدادا •

(٣٧) القرمل شجر ضعيف وعاذ : احتمى •

(أ) الغــزل العفيف :

يطلق عليه أيضا الغزل العــذرى نسبة الى قبيلة (عذرة) التى غلب على أبنائها هــذا اللون من الحب الشريف العفيف الذى يفيض بالعاطفة النبيلة الصادقة ، واللوعة المشبوبة ، مع التجمل والتصــون والتمسك بآداب الدين ، وأهداب الفضيلة ، وقد وجد هذا اللون فى البوادى كبادية الحجاز ، وبادية نجد وساعد على وجوده حياة الفراغ فى هذه البوادى بعد أن كثر الخير والرغد نتيجة للفتوحات الاسلامية الواسعة ، وبعد أن جاءهم المال من الخلفاء والولاة فى صورة أعطيات ومنح وصلات متتابعة ، وكثر العبيد الذين يكفونهم وأبناءهم مئونة رعى الماشية ومع أن كثيرا من رجالهم شارك فى الجهاد والفتــوحات فقد فرغ بعض شبابهم لحياة العشق والغزل التى كانت تعرض لهم بحكم أسنانهم الصغيرة وظروف أوضــاع حياتهم ثم تتمكن منهم بعد ذلك فلا يستطيعون منها فكاكا ــ خاصة وأن حياة البدو كانت خاليــة مما يشغل الناس فى الحضر ، من تجارة وصناعة وما اليهما كمدارســة العلم فى المساجد وكالمســاجلات الأدبية فى الأسواق العامة ــ كانت فتيات أحياء البادية يخرجن لنقل الماء من العيون والغدران ، فيتربص لهن الفتيان ــ وربما التقى الفريقــان بمحض الصدفة ــ فيحادثونهن لوجود صلة لقرابة أو الجــوار ، فتنشأ العــلاقات ، ويتمكن الهــوى من النفوس ، وتحول التقاليد دون اللقــاء بعد ذلك فيشــتعل أوار العاطفة ويعبر الشعر عنها ، وعن شدة الوجــد ، بهذا الغزل العفيف الذى لا يلبث أن يذيع ويشــيع ، ويهتف الشاعر من هــؤلاء باسم محبوبته ويردده فى قصائده فتنشــأ من ذلك مأساة حرمانه من الزواج بها لو تقدم لخطبتها حسب التقاليد العربية،التى تقضى بذلك الحرمان عقوبة للشاعر الذى شهر بالفتاة وفضح بذلك أهلها بين أحياء العرب وتزيد لوعة الحرمان من حرقة الجوى ، ويزيد حظ الشــعر من هذا

اللون من الغزل ، كما كان الشأن فى حال زعيميه (جميل ابن معمر) صاحب بثينة و (قيس بن الملوح) صاحب (ليلى) ومجنونها .

(ب) الغــزل الصريح :

ويغلب عليه الاسلوب القصصى ويتميز عن سـابقه بما فيه من جراءة وتهتك وميل للمعابثة ومن ادعاءات باطلة ، كما يتميز عن النوع الأول بالتشبيب بأكثر من واحدة بل وبالمحصنات المتزوجات وبنسـاء الأشراف لمجردشهرتهن بالجمال ، ويميل الى القصصية والحـوار بين الشـاعر وبين من يتغـزل بهن أو بينه وبين توابعهن ، وهى قصص ومحاورات خيالية غالبا وقد أشرنا الى شعراء هذا اللون — وزعيمهم (عمر بن أبى ربيعة) — الذى ظهر فى المدن والحواضر ، وبخاصـة (مكة) و (المدينة) بين أهل اليسار والترف من أبناء المهـاجرين والأنصار ممن توافرت لهم الحياة الرغدة ، والعيشة الناعمة مما ورثوا من أموال طائلة كسبها آباؤهم من الغنائم والأعطيات فى أعقاب الفتوح الاسلامية التى تمت فى عهد الخلفاء الراشدين ، فضلا عن اغداق خلفاء بنى أمية عليهم كسـبا لتأييدهم أو شراء لسكوتهم عن سـياستها ، فأدت كثرة المال لدى بعضهم ممن كان ذارقة فى دينه ، وضـعف فى نفسه الى الانغماس فى حياة اللهو والغناء ، واسـتدعى ذلك القول فى هذا اللون من الغزل وكان حسن نسجه ورقة اسلوبه داعية لذيوعه بين الناس كما ساعد التغنى به على انتشاره ، ولم يشدد الخلفاء والولاة عليه النكير ، فعظم به البلاء(٣٨) ، وتناقلته الرواة وصار أسوة لمـا جاء بعده من شعر اللهو والمجون فى العصور التالية . (ومن أمثلـة الغزل العفيف) قول (جميل بن معمر العذرى) فى ابنة عمه (بثينة) :

---

(٣٨) وفى كثير من الأحيان جر المصائب على قائليه ، فقد جر السجن والوب فيه من الـ[illegible] على الشاعر (العرجى) عندما شـبب بأم وزوج [illegible] محمد بن هشام المخزومى) ، راجع الأغانى ج٧ .

ألا ليت أيـــام الصـــفاء جـديد
ودهـــرا تولى يا بثين يعـــــود !
فنغنى كمـــا كنا نكـــون وأنتمو
صـــديق واذ ما تبذلين زهـــــيد
ومنها : اذ قلتما بى يابثينة قاتلى
من الحب قالت : ثابت ويـــزيد !
وان قلت ردى بعض عقلى أعش به
مع الناس قالت ذاك منك بعـــيد

وقـــوله أيضا :

وانـــى لأرضى من بثنيـــة بالذى
لو أبصره الواشى لقرت بلابلـــــه
بلا ، وبـــألا أســـتطيع ، وبالمنى
وبالأمـــل المرجو قد خـــاب آمله
وبالنظرة المعجلى،وبالحول ينقضى
أواخـــره لا نلتقى وأوائلـــــه

وقـــــــوله :

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل
الى اليـــوم ينمى حبهـــا ويزيد
وأفنيت عمـــرى فى انتظار نوالها
فأبليت ذاك الدهر وهو جـــــديد
فلا أنا مـــردود بما جئت طـــالبا
ولا حبهـــا فيما يبيـــد يبيـــد

وقو له (كثير بن عبد الرحمن الخزاعى) صاحب (عزة) :

وقال خليلى : مالهـا اذ لقيتهـا
غـداة السنا فيها عليك وجوم ؟
فقـلت لـه : ان المـودة بيننـا
على غير فحش والصـفاء قديم
وانى وان أعرضت عنهـا تجلـدا
على العهـد فيما بيننـا لمقـيم

وقـول (يزيد بن الطثرية) :

بنفسى مـن لو مـر برد بنـانه
عـلى كبدى كانت شـفاء أنا مله
ومن هـابنى فىكل شىء وهبته
فـلا هو يعطينى و لاأنا سائله !!

ومن أمثلة (الغزل الصريح) قول (عمر بن أبى ربيعـة) من قصـيدة :

ليت هنـدا أنجزتنـا ما تعـد
وشـفت أنفسـنا ممـا نجـد
ومنها : ولقد قالت لجـارات لها
ذات يـوم وتعـرت تبـترد
أكمـا ينعـتنى تبصـرنى
عمر كن الله أم لا يقتصـد ؟
فتضـاحكن وقـد قلن لهـا
حسـن فى كل عـين من تـود
حسـدا حملنـه من أجلـها
وقديمـا كان فى انلـاس الحسد

وقول (أبى دهبل الجمحى) فى عاتكة بنت معاويةبن أبى سفيان :

وهى زهـراء مثل لؤلؤ الغـو
اص مـيزت من جوهر مكنـون
واذا ما نسـبتها لم تجدهـا
فى سـناء من المكـارم دون

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء تمشى فى مرمر مسنون وقـول (عبد الله العرجى) :

عـوجى علينـا ربـة الهـودج
انك لم تفعـلى تحـرجى(٣٩)
انى أتيحت لى بمـا نيـة
احـدى بنى الحارث من مـذحج
نلبث حـولا كامـلا كلـه
مـا نلتقى الا عـلى منهـج
فى الحج ان حجت ،وماذا(منى)
وأهلـه ان هى لم تحجـج ؟ !!

٤ ـ الحماسـة :

وقد وجدت أسـبابها ، وتوافرت دواعيها فى تلك الحروب الكثيرة التى شبت ، والمعارك التى اندلعت،وكان من أعنفها ما كان بين الدولة و (الخوارج) وقد اشتهر زعماء الخوارج بالشجاعة فى خوض القتال وبالبطولة والفدائية ، كما اشتهروا باللسن والفصاحة والشعر ، فهم زعماء وفرسان هذا اللون ، ومن أبرز شعرائهم (قطرى بن الفجـاءة المازنى) المقتول عام ٧٩ هـ .

الذى يقـول :

---

(٣٩) تأثمى .

لا يركنن أحـد الى الاحجـام
يوم الوغى متخـوفا لحمـام
فلقـد أرانى للرماح دريئـة
من عن يمينى مـرة وأمامى(٤٠)
حتى خضبت بمـا تحدر من دمى
أكتاف سرجى أو عنان لجامى(٤١)
ثم انصرفت وقد أصبتولم أصب
جذع البصيرة ، قارح الاقدم(٤٢)

ويقول فى موقف آخر :

أقول لها وقد طـارت شـعاعا
من الأبطال ويحك لن تراعى(٤٣)
فانك لو سـألت بقـاء يـوم
على الأجـل الذى لك لم تطـاعى
فصبرا فى مجـال الموت صـبرا
فمـا نيل الخلـود بمسـتطاع
ولا ثـوب البقـاء بثوب عـز
فيطوى عن أخى الخنع اليراع(٤٤)
سـبيل المـوت غـاية كل حى
فداعيـه لأهـل الأرض داع

---

(٤٠) الدريئة : هدف يتعلم الرمى عليه .
(٤١) تحدر : سال ، العنان : سير اللجام .
(٤٢) جذع : شاب : البصيرة : العقل ، قارح : المراد : قوى .
(٤٣) الخطاب لنفسه ، طارت شعاعا تبددت من الخوف ، ويحك : رحمة لك ، تراعى : يفزعى .
(٤٤) الخنع : اللين ، اليراع : الجبان .

ومن لا يعتبط يسأم ويهرم
وتسلمه المنون الى انقطاع(٤٥)
وما للمرء خير فى حياة
اذا ما عد من سقط المتاع(٤٦)

ويقول (عمران بن حطان) المتوفى عام ٨٩هـ فى رثاء (أبى بلال) أحد الخوارج :

لقد زاد الحياة الى بغضا
وحبا فى الخروج أو بلال
أحاذر أن أموت على فراشى
وأرجو الموت تحت ذرا العوالى(٤٧)
ولو أنى علمت بأن موتى
كموت أبى بلال لم أبال
فمن يك همه الدنيا فانى
لها والله رب العرش قال (٤٨)

ويقول (الطرماح بن حكيم الطائى) المتوفى عام ١٠٠ هـ :

وانى لمقتاد جوادي وقاذف
به وبنفسى العام احدى المقاذف
فيارب ان حانت وفاتى فلا تكن
على شرجع يعلى بخضر المطارف(٤٩)

---

(٤٥) يعتبط : يموت شابا .
(٤٦) سقط المتاع : رديئة .
(٤٧) العوالى : أسنة الرماح .
(٤٨) قال : كاره .
(٤٩) الشرجع : النعش .

ولــكن قبرى بطن نسر مقيــله
بجو السماء فى نسور عوأكف(٥٠)

٥ ــ الوصــف :

وقد برع فيه الشعراء الأمويون لوفرة المشاهد وتعدد الموصوفات أمامهم من بدوية وحضرية ، ومن بديع وصف الصحراء ، ووصف حال المسافرين فيها أيام الصيف وشدة الحر ، قول (ذى الرمة) :

وسـ اجرة السراب من المواس
ترقص فى عســاقلها الأروم (٥١)
تموت قطــا الغــلاة بها أواما
ويهلك فى جوانبها النسيم (٥٢)
بهــا غــدر وليس بهــا بــلال
وأشباح تجول ولا تريم (٥٣)
قطعــت بفتيــة وبيعمــلات
تلاطمهن هاجرة هجوم (٥٤)
نلوث على معارفنــــا وترمى
محاجرنا شامية سموم (٥٥)

---

(٥٠) مقيله : مكان قيلولته ٠

(٥١) ساجرة السراب : مملوءة به ، العساقل : السراب ، الأروم : الأعلام .

(٥٢) القطا الحمام والأوام العطش ٠

(٥٣) غدر : جمع غدير ، والبلال : الرى ولا تريم : لا تبرح مكانها

(٥٤) يعملات : نوق ، والهاجرة نصف النهار عند اشتداد الحر ٠

(٥٥) نلوث على معارفنا : نضع العمائم على وجهنا ، شــامية : ريح من جهة الشام ٠

ونرفع من صدور شمردلات
يصك وجوهها وهج أليم (٥٦)
تلثم فى عصـــائب من لغــام
اذا الأعطاف ضرجها الحميم(٥٧)
وقد أكـل الوجيف بكل خـرق
عرائكها ، وهللت الجروم (٥٨)

ومن الأوصـــاف الطريفة وصف (الفرزدق) لقاءه بذئب فى أثناء ســفره :

وأطلس عسال وما كان صــاحبا
دعوت بنارى موهنا فأتانى(٥٩)
فلمــا دنا قلت لدن دونك اننى
واياك فى زادى لمشـــتركان
فبت أقــد الزاد بيى وبينــه
على ضــوء نار مــرة ودخان
فقلت له لمــا تكشر ضـــاحكا
وقائم ســيفى من يدى بمكان

---

(٥٦) شمردلات : ابل طوال ، يصك : يضرب .

(٥٧) تلثم : أى تتلثم الابل بالرغاء الأبيض الخــارج من فمها فى حين يعم جوانبها العرق الحار كأنه الحميم .

(٥٨) وقد ذهب السير فى فجاع الصحراء بأسنمتها وأنحفها حتى صارت هذه الابل كالأهلة .

(٥٩ ، ٦٠) الأطلس : الأغبر اللون ، عسال : مضطرب فى مشيه ، موهنا : نحو منتصف الليل ، أقد الزاد : أقطعه ، تكشر : كشــف عن اسنانه ، قائم سيفى : مقبضه ، واثقتنى : عاهدتنى ، القرى : الضيافة ، شباة سنان : طرف الرمح ، تعاطى القنا قوما هما : تحارب أهلوهما .

تعش فان واثقتنى لا تخوننى
نكن مثل من ياذئب يصطحبان
وأنت امرؤ ياذئب والغدر كنتما
أخيين كانا أرضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى
أتاك بسهم أو شباة سنان
وكل رفيقى كل رحل وان هما
تعاطى القنا قوما هما أخوان(٦٠)

٦ ـ الرثاء :

وهو غرض انسانى نبيل لا غنى عنه فى أى عصر ، ولقد كثرت فى هذا العصر المصائب الفادحة ، والكوارث الأليمة الفاجعة ، فمما رثى به الامام (الحسين بن على) رضى الله عنهما قول (عبد الله بن الأحمر) :
ألا وانع خير الناس جدا ووالدا
حسينا لأهل الدين ان كنت ناعيا
وأضحى حسين للرماح دريئة
وغودر مسلوبا لدى ألطف ثاويا
فياليتنى اذ ذاك كنت شهدته
فضاربت عنه الشانئين الأعاديا
سقى الله مجدا ضمن والمجد والتقى
بغربية (الطف) الغمام الغواديا
ويا أمة تاهت وضلت سفاهة
أنيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا

---

(٦١) الطف : مكان فى كربلاء حيث استشهد الحسين وسبعون معه رضى الله عنهم .

وقول (الرباب بنت امرىء القيس الكلبيـة) وهى زوج الامام الحسـين :

ان الذى كان نورا يسـتضاء بـه
(بكر بلاء) قتيـل غـير مدفـون

بسبط النبى جـزاك الله صـالحة
عنـا ، وجنبت خسران المـوازين

قد كنت لى جبـلا صـعبا ألوذ به
وكنت تصـحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ؟ ومن للسـائلين ؟ ومن
يغنى ، ويؤوى اليه كل مسكين ؟

والله لا أبتغى صـهرا بصـهر كمـو
حتى أغيب بـين الرمـل والطـين

ومما رثى به (جرير) زوجه (خالدة بنت سعد) قوله :

لولا الحياء لهاجنى اسـتعبار ولزرت قـبرك والحبيب يزار

ثم يقول :

عمرت مكرمة المسـاك وفارقت
ما مسـها صـلف ولا اقتـار

فسقى صـدى جدث ببرقة ضـاحك
هـزم أجش وديمـة مـدرار

صـلى الملائكة الذين تخـيروا
والصـالحون عليـك والأبـرار

وعليك من صـلوات ربك كلمـا
نصـب الحجيـج ملبدين وغاروا

لا يلبث القـرناء أن يتفـرقوا
ليـل يكـر عليهمو ونهـار

٧ ـ شعر الموعظة :

وقد دعت الحاجة اليه ومست لاقبــال الدنيا على الناس وكثرة الملهيات عن ذكر الله سبحانه وتعالى فتناوله كثير من الشـعراء موعظة لأنفسهم ولغيرهم وتذكيرا بالله والدار الآخرة وحثا على التقوى والعمل الصالح ومن ذلك قول الفرزدق من قصيدة :

أطعتك يا أبليس سبعين حجة
فلما انتهى شـيبى وتم تمامى
فـررت الى ربى وأيقنت أننى
مـلاق لأيام المنـون تمامى

ويقول أيضـا :

أخاف وراء القبر ان لم يعافنى
أشد من القبر التهابا وأضـيقا
اذا جاءنى يوم القيـامة قائد
عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد دارم من مشى
الى النار مغلول القلادة موثقا
يقاد الى نار الجحـيم مسربلا
سرابيل قطـران لباسا محرقا

٨ ـ الشـعر السياسى :

هو غرض من الأغـراض الجـديدة ، وقد دعا اليه ما أشرنا اليه سابقا من نشوء وتعدد الأحزاب السـياسية فى العصر الأموى على أثر مقتل الخليفة (عثمان بن عفـان) ، ومن نماذجه ـ قول (النعمـان بن بشير) يخاطب (معاوية بن أبى سفيان) ناعيا عليـه حملته على الأنصار ومصارحا اياه برأيه فى خلافته :

معاوى ان لم تعطنـــا الحـــق تعترف
لحى الأزد مشدودا عليها العمائم (٦٢)
أيشـــتمنا عبد الأراقم ضـــلة
فماذا الذى تجدى عليك الأراقم ؟(٦٣)
وانى لأغضى عن أمـــور كثـــيرة
ســترقى بها يوما اليك الســـلالم
أصـــانع فيها عبد شـــمس واننى
لتـــلك التى فى النفس منهـــا أكاتم
فما أنت والأمر الذى لســت أهـــله
ولـــكن ولى الحـــق والأمر هاشـــم

ومن قول (عبيد الله بن قيس الرقيات) من قصـــيدة يعلن فيها سخطه على بنى أمية :

كيـــف نومى على الفراش ولمـــا
تشـــمل الشـــام غارة شـــعواء
تذهل الشيخ عن بنيـــه وتبدى
عن براها العقيلة العـــذراء (٦٤)
أنا عنـــكم بنى أميـــة مزور
وأنتـــم فى نفسى الأعـــداء
ان قتـــلى بالطف قد أوجـــعتنى
كان منكم لئن قتلتم شـــفاء (٦٥)

---

(٦٢) الازد : جد الأوس والخزرج (الأنصار) .

(٦٣) عبد الأراقم : يريد به (الأخطل) الشاعر الذى شجعه بنـــو أمية على هجاء الانصار .

(٦٤) براها : حليها . والعقيلة العذراء ، الكريمة المخـــدرة البكر وهى لا تكشف عن زينتها بالسفور الا وقت الهول والفزع .

(٦٥) قتلى بالطف : هم شهداء وقعة كربلاء (الحسين واصحابه) .

وقول (الكميت) يخـــاطب بنى هاشم ويذكر أحقيتهم بالخلافة
ويندد باغتصاب بنى أمية اباها :

بخاتمكم غصـــبا تجـــوز أمورهم
فلم أر غصبا دونه يتغصب (٦٦)
بحقكمو أمســـت قريش تقـــودنا
وبالغذ منها والرديفين تركب(٦٧)
اذا اتضـــعونا كارهين لبيعـــة
أناخوا لأخرى والأزمة تجذب(٦٨)
ردافا علينا لم يسيموا رعية
وهمهم أن يمتروها فيحلبوا (٦٩)
أقاربنا الأدنون منـــكم لعـــلة
وســـاستنا منهم ضـــباع وأذؤب
وقالوا ورثنـــــاها أبانا وأمنـــا
وما ورثتهم ذاك أم ولا أب (٧٠)

---

(٦٦) الخاتم ما يختم به الملك أو سواه • تجور : تسير وتنفذ ••
يتغصب : يغتصب • يقول : انهم يحكمون الناس يحكمكم الذى سلبوه •

(٦٧) الفذ : الفرد وأول سهام الميسر • الرديفـان : مثنى الرديف
وهو كل ماتبع شيئا أو الراكب خلف الراكب• والمعنى أنها تحكم مطمئنة
وان كانت خيلة فى الحكم بلا حق •

(٦٨) اتضعونا : حكمونا وأصله اتضع البعير خفض رأسه ليضـــع
قدمه على عنقه فيركب أناخوا لأخرى : دبروا لمسألة اخرى • الأزمة : جمع
زمام • والمعنى والأمور تسير •

(٦٩ ردافا : متتابعين • يسيم الماشية : يخرجها الى المرعى يمترى
الناقة : يمسح ضرعها لتدر • والمعنى أنهم (بنى أمية) يحكمون الناس
لينعموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية •

(٧٠) ورثناها : أى الخلافة •

يرون لهم حقا على الناس واجبا
سفاها وحق الهاشميين أوجب(٧١)

ومن الشعر المذهبى العقدى المتصل بالسياسة قول (الكميت) أيضا :

أهوى (عليا) أمير المؤمنين ولا
أرضى بشتم (أبى بكر) ولا (عمرا)
ولا أقول ـــ وان لم يعطيا (فدكا)
بنت الرسول ولا ميراثه ـــ كفرا (٧٢)
الله يعلم ماذا يأتيان به
يوم القيامة من عذر اذا اعتذرا

٩ ـــ الرجزيات :

سبق أن أشرنا الى نهضة الرجز واستعماله فى أغراض القصيد المختلفة فمن استعماله فى الغزل قول (رؤبة) :

داينت (أروى) والديون تقضى
فمطلت بعضا وأدت بعضا (٧٣)
ياليت (أروى) اذ لوتك قرضا
جاءت بقرض فشكرت القرضا

ومن استعماله فى المدح قول (أبو نخيلة الحمانى) فى (هشام بن عبد الملك) :

الى أمير المؤمنين المجدى
رب معد وسوى معد

---

(٧١) سفاها : باطلا ٠
(٧٢) فدك : أرض كانت للرسول صلى الله عليه وسلم ٠
(٧٣) مطلت : أخرت ٠

ممن دعا من أصـــيد ونجـد
ذى المجد والتشريف بعد المجد(٧٤)
فى وجهـه بدر بدا بالسـعد
أنت الهمـام الفرد عند الجـد
طوقتها مجتمـع الأشــد
فانهل لمـا قمت صـوت الرعد

ومن استعماله فى السياسة قول (رؤبة بن العجاج) فى انتصار (أبى مسلم) قائد بنى العباس على (مروان بن محمد) آخر الخلفـاء الأمويين :

ما زال يأتى الأمر من أقطـاره
على اليمـين وعلى يســاره
مشـمرا لا يصـطلى بنـاره
حتى أقـر الملك فى قراره
وفر (مروان) على حمـاره (٧٥)

ومن استعماله فى وصف الديار والأطلال قول (العجاج) : (٧٦)

يا صاح ما هاج الدموع الذرفا
من طلل أمسى تخال المصـحفا(٧٦)
رسـومه والمذهب المزخرفا
وكل رجاف يسوق الرجفا (٧٧)

---

(٧٤) ذى صيد ونجد : عزة ومرؤة ٠

(٧٥) كان مروان بن محمد يلقب بمروان الحمار ٠

(٧٦) الذرف : السائلة ٠

(٧٧) رجاف : سحاب يرجف بالرعد وفى البيت جعل للريح كلاكلا أى صدورا وأكنافا اى نواحى ٠

من السحاب والسيول الجرفا

فأطرقت ا لاثلاثا وقفا (٧٨)

دواخسا فى الأرض الا شعفا

خصائص الشعر الأموى وتطوره

أولا — فى بناء القصيدة :

حافظ الشعراء فى هذا العصر على (عمود الشعر العربى)القديم من حيث صياغة القصيدة على وزن شعرى واحد وقافية واحدة ، وعلى تعدد عناصر القصيدة الواحدة باشتمالها على أغراض تمهيدية ثانوية وغرض أصلى غالب ، ومن بدئها —غالبا — بالنسيب وذكر الديار والأطلال والأحبة ، وقد يأتى فى المقدمة أيضا الفخر والوصف بيد أن الانتقال فى القصيدة من الأغراض الثانوية الى الغرض الأساسى يأتى أحيانا (اقتضابا) أى بدون ربط ، وأحيانا يأتى بلباقة وربط لطيف يسمى (حسن التخلص) فمن الاقتضاب ما جاء فى قصيدة (جرير) فى مدح (الوليد بن عبد الملك) التى مطلعها :

طربت دما هذا الصبا والتكالف ، وهل للهوى اذراعه البين صارف ؟

فبعد المقدمة الغزلية هجم على المدح فقال :

طلبنا أمير المؤمنين ودونه تنائف غبر واصلتها تنائف (٧٩)

ومن (حسن التخلص) ما جاء فى قصيدته فى مدح (عبد الملك ابن مروان) التى يقول فى مطلعها :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية هم صحبك بالرواح (٨٠)

---

(٧٨) يقول : فخشعت الأطلال لما أصابها من المطر والسيل الا الأثافى وهى الحجارة التى يضع عليها القدر التى هى منصوبة فى الأرض داخلة فيها الا رؤوسها .

(٧٩ ، ٨٠) راجع القصيدتين فى ديوانه بشرح (محمد بن حبيب) تحقيق د. نعمان طه ، ط دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٧١م .

فبعد أن تحدث عن زوجه وحوارها معه فى أمر سفره الى لقاء الخليفة وآخر هذا الحوار قوله لها :

ثقى بالله ليس لـه شريك ومن عند الخليفة بالنجـاح

فلما جاء ذكر الخليفة التفت اليه فى البيت التالى مادحا ومستمرا:

أغثنى يا فداك أبى وأمى بسيب منك انك ذو ارتياح ٠٠ الخ(٨١)

وربما بدا الشاعر قصيدته بالغرض الأصلى دون مقدمات ألبتة كما فى قول (جرير) أيضا فى مدح (المهاجر بن عبد الله) عامل (هشام) على (اليمامة) :

ان المهاجر حين يبسط كفه سبط البنان ، طويل عظم الساعد

وخلاصة القول أن القصيدة الأموية جاءت عربية الشعر متماسكة البنيان ، قوية الأركان ، واضحة العنوان ، متجاوبة القوافى منسجمة الأوزان ، اطارها الموسيقى حافل بالأنغام والألحان ٠

ثانيا — فى الألفاظ والأساليب :

يمتاز شعر هذا العصر من جهة ألفاظه وأساليبه بوجه عام بالصحة والفصاحة ، والسلامة من العجمة ومن الضعف والاسفاف ، ويتراوح الشعر الأموى بين قوة الألفاظ والأساليب وجزالتها ، وبين رقتها ولينها وبين توسطها بين الأمرين بحسب الأغراض المسوقة لها وبحسب بيئات الشعراء ، فبينما نجد شعر الوقوف على الأطلال ووصف الصحراء والناقة والسفر ، وشعر الهجاء والحماسة والفخر جزلا فخما كثير الغريب أقرب الى النسق الجاهلى ، نجد شعر الغزل والغناء غاية فى الرقة والسهولة والعذوبة كما نجد شعر المدح والرثاء والسياسة وسطا بين النهجين ٠ كذلك نجد شعر (الرجز) بدويا قحا ،

---

(٨١) المرجع السابق ٠

وأعرابيا خالصا ، وكذلك نرى شعر شعراء البادية فحلا كثير الغريب كما فى شعر (ذى الرمة) ، ونجد شعر أهل الحضر لينا عذبا كما فى شعر (عمر بن أبى ربيعة) وتستطيع أن تطبق هذه الأحكام على مر بك من نماذج الشعر الأموى فى الأغراض المختلفة وبالله توفيقك •

ثالثا — فى المعانى والأفكار :

توصف القصيدة الأموية بأنها فى الأعم الأغلب :

١ — مترابطة الأجزاء والأفكار على الرغم من تعدد عناصرها •

٢ — وأنها واضحة المعانى ، قريبة من الفطرة والطبع ، دانية الغور ، بعيدة عن التكلف والغموض ، ولا يناقض ذلك مجىء كثير من شعر الأمويين عميق المعنى ، دسم الفكرة كما اتصفت معانيهم بشرفها ، واشتمالها على روائع الحكمة وجليل المثل •

٣ — ولقد تأثرت معانيهم بالمضامين الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، « اذ أنهم أول نابتة من أهل الأدب نبتت فى الاسلام » (٨٢) « فجاءت معانيهم اسلامية أصيلة » ولم يكن قد دخل على الشعر بعد شىء من علوم الأمم السابقة ذات الحضارة والفلسفات كالفرس واليونان والهنود كما حدث لشعر العصر التالى (العباسى) فمن أمثلة تأثر الشعر الأموى بمعانى القرآن الكريم قول الكميت فى بنى هاشم •

خفضت لهم منى جناحى مودة   الى كنف عطفاه أهل ومرحب

فمعنى التواضع والرحمة هنا مأخوذ من الآية الكريمة « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » (سورة الاسراء : ٢٤) وقوله فى القصيدة نفسها :

---

(٨٢) راجع المفصل فى تاريخ الأدب العربى للشيخ أحمد الاسكندرى وآخرون •

يعيبوننى من خبهم وضـــلالهم   على حبكم بل يسخرون وأعجب !!

فاقتران السخرية بالعجب مأخوذ من قول الله تعالى : « بل عجبت ويسخرون » (الصافات : ١٢) ٠

٤ ـــ كذلك تأثرت معانيهم بمعانى الشعراء الســـابقين ، ومن ذلك قول (نصيب بن رباح) فى مدح (سليمان بن عبد الملك) :

هو البدر ، والناس الكواكب حوله   ولا تشبه البدر المضىء الكواكب

فهو من قول (النابغة الذبيانى) فى (النعمان بن المنذر) :

فانك شـــمس والملوك كواكب   اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وان اختلفا فى المشبه به لكن معنى التفضـــيل واحد ، وليس هنا مجال الموازنة بين البيتين ٠

٥ ـــ ابتكارهم معانى جديدة مناسبة للأغراض التى جدت كالشعر السياسى ، ومن ذلك الاحتجاج الشعرى والعقلى بالشعر كقول(الكميت) فى أحقية بنى هاشم بالخلافة :

فان هى لم تصـــلح لحى سواهمو
فان ذوى القربى أحـــق وأوجب
يقولون : لم يورث ، ولولا تراثه
لقد شركت فيه (بكيل) و (أرحب)

ومنه فى تحسين القبيح قول (نصيب) محتجا لسواده :

فان أك حالكا فالمســـك أحوى
وما لســـواد جـــلدى من دواء
ولى كـــرم عن الفحشـــاء ناء
كبعد الأرض عن جو الســـماء

وقوله أيضا فى المعنى نفسه :

فان يك من لونى الســـواد فانه
لكا لمسك لا يروى من المسك ذائقه
وما ضر أثوابى ســوادى وتحتها
لباس من العليــاء بيض بنــائقه

وقوله كذلك :

ليس الســواد بناقص ما دام لى
هذا اللســان الى فؤاد ثابت
من كان ترفعــه منــابت أهله
فبيوت أشــعارى جعلن منــابتى
كم بين أســود ناطق ببيــانه
ماضى الجنان ، وبين أبيض صامت

فالشاعر مرة يشبه نفسه بالمسك الذى لا يعيبه السواد لطيبه ومرة يذكر ما يعوضه عن بياض الوجه وهو كرم نفسه وبعدها عن الفحشاء والدنايا ، ومرة يذكر أن العوض هو علو همته وتطلعــه للمجــد ومرة يذكر فى هذا المجال : لسانه الفصيح وشعره السائر ، وفؤاده الشجاع ويقارن بين مثله فى بلاغته وشعره وبين رجل أوتى بياض الوجه ولكنه عيى لا يبين .

ومن ذلك الباب قول (كثير بن عبد الرحمن) محتجا لقصر قامته ونحــافته :

ترى الرجــل النحيف فتزدريه
وفى أثــوابه أســد هصــور !
ويعجبك الطــــير فتبتليــــه
فيخلف ظنك الرجــل الطرير !

يغـــاث الطير أكثرها فراخا
وأم الصــقر مقلاة نزور !
ضـعاف الأسد أكثرها زئيرا
وأصرمهـا اللواتى لا تزير !
وقد عظـم البعـير بغـير لب
فلم يســتغن بالعظم البعير
يقوده الصـبى بكل أرض
وينحره على الترب الصـغير
فما عظـم الرجـال لهم بزين
ولكن زينهم كـرم وخـير

ومن ذلك الباب تلطف الشاعر فى الوصول لغرضه والزام خصومه الحجة ، مثلما روى عن أبى الأسود الدؤلى أن امرأة خدعته عن نفسها باخفاء عيوب فيها وادعاء مزايا فتزوجها وشهد على زواجها جمع من أهلها ثم تبين له ســوء خلقها وعشرتها وخشى ان بادر بطلاقها ملامة أهلها فجمعهم عنده دون أن يعرفوا غرضه ثم وجه اليهم هذه الأبيات :

أريت امـرأ كنت لم أبله
أتانى فقـــال اتخذنى خليـلا
فخـــاللته ثم أكرمتـــه
فلم أســتفد من لدنه فتيـلا
وألفيتـــه حــين جربتـــه
كذوب الحديث سروقا بخيلا
فــذكرته ثـــم عاتبتـــه
عتابا رقيقا وقولا جميـلا
فألفيتــه غــير مســـتعتب
ولا ذاكـر الله الا قليـلا

ألســت حقيقــا بتوديعــه
واتباع ذلك صرما جميلا ؟

فقالوا : بلى والله يا أبا الأســود — قال : تلك صــاحبتكم وقد طلقتها لكم وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها فانصرفت معهم دون أن يعترضوا عليه بكلمة (٨٣) .

٦ — شيوع الحكمة فيه وورود الأمثال البليغة فى ثناياها . فمن الحكمة قول (نصيب) فى الصداقة :

ولا خير فى ود امرىء متكــاره
عليك ولا فى صاحب لا توافقه
اذا المرء لم يبذل من الود مثلما
بذلت له فاعــلم بأنى مفــارقه

وقوله (أبى الأسود الدؤلى) فيمن يخالف قوله فعله :

يأيها الرجــل المعلم غــيره
هلا لنفســك كان ذا التعلــيم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى
كيما يصــح به وأنت ســقيم
ابدأ بنفســك فانههــا عن غيها
فاذا انتهت عنــه فأنت حكيم

ومن الأمثال قول (جرير) :

انى لأرجو منك خيرا عاجلا (والنفس مولعة بحب العاجل)

وقول (كثير) :

وقد زعمت أنى تغــيرت بعــدها
(ومن ذا الذى ياعز لا يتغير ؟!)

---

(٨٣) راجع القصة فى مهذب الأغانى « الجزء السادس » .

وقوله : فقلت لها ياعز (كل مصيبة
اذا وطنت يوما لها النفس ذلت)

وقول أبى الأسود الدؤلى :

وكنت اذا ضيعت سرك لم تجد   سواك له الا أشت وأضيعا

وقوله :

ومن العطية ما يعود غرامة
وملامة تبقى ومنا كاذبا
لا أشترى الحمد القليل بقاؤه
يوما بذم الدهر أجمع واصبا

وقوله :

وفى اليأس حزم للبيب وراحة   من الأمر لا ينسى ولا المرء نائله

وقوله :

وأحبب اذا أحببت حبا مقاربا
فانك لا تدرى متى أنت نازع
وأبغض اذا أبغضت بغضا مقاربا
فانك لا تدرى متى أنت راجع
وكن معدنا للحكم واصفح عن الخنا
فانك راء ما علمت وسامع

٧ — وقد يأتى جمال المعنى عند الأمويين من الايجاز مع الوفاء بالغرض ، ومع حسن التصرف فى الأسلوب وعقد المقارنات اللطيفة والادعاءات المثيرة وابرازها فى صورة قضايا مسلمة ، ومن أمثلة ذلك قول (جرير) فى معنى المدح بالكرم والخيرية — البيت المشهور :

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح ؟

فجمال المعنى فى هذا البيت جاء من حسن تصرف الشاعر فى

الوصول الى غرضه بطريق الاستفهام التقريرى حتى جعل من المعنى المتداول وهو اسناد الخيرية على الناس والأفضلية فى الكرم الى الممدوحين جعل منه معنى رفيعا تهش له النفس ، ويطرب له القلب ويستريح اليه الفكر فضلا عن خفته على السمع لحلاوة جرسه حتى استحق قول النقاد فيه انه أمدح بيت قالته العرب •

ومن هذا القبيل قول (جرير) كذلك فى هجاء أحد خصومه وهو الشاعر (الراعى النميرى) :

فغض الطرق انك من (نمير) فلا (كعبا) بلغت ولا (كلابا)

فقوة هذا البيت فى المعنى لا تأتى من صدقه ، فقد ثبت لدى الرواة والنقاد أن قبيلة (نمير) كانت أشرف وأنبل من قبيلتى (كعب وكلاب) ولكن جاءت القوة من براعة الشاعر فى ايهام السامع بضعة قبيلة نمير وحقارتها حتى لكان ذلك قضية مسلمة لا تقبل المناقشة • واستعان على ذلك بأسلوب الأمر يوجهه للمهجو أن يغض طرفه ، ولا يرفع رأسه لمجرد كونه من (نمير) وجاء الأمر متلوا بالعلة وبعد العلة اتمام وتقرير للمعنى المستفاد منها ، مع الايجاز وسهولة المأخذ وجودة السبك فجاء البيت فى معناه موجعا أيما ايجاع حتى قيل فيه انه أهجى بيت قالته العرب

ومن هذا القبيل أيضا قوله فى الغزل :

ان العيون التى فى طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به
وهن أضعف خلق الله انسانا

فبتأمل البيتين لادراك سر الجمال فيهما — حتى قال النقاد : انهما أغزل بيتين قالتهما العرب — نرى أن البيت الأول ساق قضيتين مثيرتين هما : القتل الصادر من تلك العيون الحور ، وعدم الاحياء

تلى منها مع القدرة عليــه ، فالأولى تبين شـــدة أثر هذه العيون فى الناظرين والمحببين ، والثانية توضح التآبى والضن من جانب صاحبات هذه العيون وهو أمر يحمــد فى النســاء ، وأن البيت الثانى أتى لنا بمقارنة عجيبة بين قوة غلابة قاتلة مصدرها أضعف الناس وهن النساء وقوة منهــارة فى أقوى البشر وهم الرجــال ، فترى قويا مصروعا ، وضعيفا غالبا وكلا الأمرين عجيب وطريف .

رابعا ــ فى التصوير والخيال :

جاءت الصــور الجمالية فى الشعر الأموى رائعة بديعة مع قربها وجريها غالبا على المنهج التصويرى العربى القديم ، ومع ذلك فقد حلق خيالهم الى آفاق فسيحة وجرى الى غايات بعيدة من الاحسان ، وقد تنوعت الصــور فى هذا العصر بين بدوية وحضرية على حســب بيئات الشعراء فشاعر مثل (ذى الرمة) ومثل (جميل) تأتى صوره متأثرة ببيئة الصحراء ومشاهدها من رمال وجبال وظبــاء وخباء وغمام ومطر وحر وقر ومن أخلاقها وعوائدها من شجاعة وكرم وعفة ووفاء وصراحة وصبر ، وشاعر مثل (عمر بن أبى ربيعة) و (أبى دهبل الجحمى) وغيرهما من شعراء الحضر ، تأتى صــورة معبرة عن البيئة الحضرية وما فيها من ترف ونعيم ولهو وغناء وحيلة ودهاء وكذب وادعاء .

انظر الى تصوير (ذى الرمة) لقسوة الصحراء فى وقت الصيف ووقدة حرها ، أثر ذلك على المسافرين فيها حيئذ فى النص الذى مر بك .

تموت قطا الفــلاة بها أواما ويهلك فى جوانبها النسيم

فصورة تساقط الحمام ميتا من العطش فى تلك الصحراء المحرقة مؤثرة بالغة الدلالة على شدة الحر وقســوته ، وجاءت صورة (هلاك النسيم) فى جوانب تلك الفلاة ــ مع سعتها ــ لتزيد الصــورة جلاء وتأثيرا .

وتأمل تمام الصورة فى الأبيات التالية :

ونرفع من صـدور شمردلات
يصك وجوهها وهج أليم
تلثم فى عصائب من لغام
اذا الأعطاف ضرجها الحميم
وقد أكل الوجيف بكل خرق
عرائكها ، وهلات الجروم

فوهج الحر اللافح يضرب وجوه نوقنا على الرغم من محاولتنا اتقاء ذلك برفع صدورها وعبر عن عنف هذه الريح الساخنة حين تقابل وجوه الابل (بالصك) وهى كلمة قوية فى لفظها ومعناها مناسبة للمعنى تماما ، وقد أخرجت الابل من أفواهها رغاء كثيرا تعاظم واتصل وغطى وجهها حتى كان لها كاللثام وهو تشبيه بديع ، ثم انظر كيف استعار الحميم وهو الماء الحار لعرقها وصور هذا العرق لكثرته وعمو أعطاف الابل فى صورة الدم الكثير الذى يضرج أعطاف الجريح فكما أن الدم مكروه فى هذه الحالة ، فكذلك هذا العرق السحاح ، ثم تأمل الصورة البديعة فى البيت الأخير لما أصاب هذه الابل من النحول والهزال من جراء ما عانت من السفر والسير فى فجاج هذه الصحراء الشاسعة ، وفى ذلك الجو القاسى من الحرارة الشديدة فقد زالت أسنمتها تماما كأنما أكلت أكلا مع أن هذه الأسنمة هى أوضح وأغلظ ما يتراءى من هذه الابل للناظر اليها ، ولم يقتصر الأمر على زوال الأسنمة بل ان أجسامها كلها قد نحلت فصارت فى نحولها ودقتها كأنما هى الأهلة •
ومن بدائع التصوير فى باب الفخر ، قول (الطرماح بن حكيم) من شعراء الخوارج يفتخر بنفسه فى مجده وشاعريته :

اذا قبضت نفس الطرماح أخلقت
عرى المجد ، واسترخى عنان القصائد

تأمل كيف صور المجد بعد موته فى صورة الثوب الذى بليت عراه — وهى أقوى شىء فيه — فساءت حاله كل السوء ، وكيف صور الشعر فى صورة جواد فقد فارسه فاسترخى لجامه ، فكأن الشاعر فى حياته مهيمن على الشعر هيمنة الفارس على الفرس عندما يمسك بلجامه • ومن الصور الكلية الجميلة ، صورة الامام العادل والخليفة الكفء الذى يتمناه (الكميت) :

بمرضىِّ السياسةِ هاشمىٍّ
يكون حيًا لأمته ربيعا
وليثا فى المشاهد غير نكس
لتقويم البرية مستطيعا
يقيم أمورها ويذب عنها
ويترك جدبها أبدا مريعا

تأمل ما فى قوله (مرضىِّ السياسة) من تعريض بالحاكمين من بنى أمية ، وسوء سياستهم ، الداعى لعدم الرضا عنهم ، ثم تأمل الصورة الكلية التى رسمتها الصفات التى أوردها من كون الخليفة المرتجى من بنى هاشم المحبوبين للأمة ، وأن يكون مصدر خير ونفع عميم للأمة ، وهو شجاع فى الحرب ، كفء لاصلاح الرعية ، يقيم العدل فيها ، ويدفع عنها المصائب ، ويحول شدتها الى رخاء وسعة ورغد ، وفى خلال هذه الصورة الكلية جاء تشبيه هذا الامام المرتجى بالمطر وبالليث وهما تشبيهان قديمان ، ولكن مجيئهما فى معرض الصورة الكلية أكسبهما بهجة ورواء •

ومن جميل التصوير قول (ابن الرقيات) فى مدح (مصعب بن الزبير) :

انما مصعب شهاب من اللـ ـــه تجلت عن وجهه الظلماء

فقد شبه مصعبا بشعلة النار الساطعة ثم أتم الصورة باجلاء الظلام عن وجهه ، فهو أولا يصفه بالاشراق الحسى فى أكمل وأقوى صورة بالليل وهو الشهاب ، وحين أتم الصورة بقوله (من الله) أضاف له ضياء معنويا رائعا ، وفى الشطر الثانى اطناب جيد ببيان أثر الشهاب فى تبديد وازالة الظلام ، ولذلك استجاد (عبد الملك بن مروان) هذا البيت وفضله على قول الشاعر نفسه فى مدحه •

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

وقال : « يابن قيس تمدحنى بالتاج كأنى من العجم وتقول فى مصعب (انما مصعب شهاب من الله ••• الخ) » •

وعبد الملك على حق فى نقده ، فمع أن البيت الثانى فيه تصوير لحسن التاج واعتداله فوق رأس الخليفة وفيه تشبيه جبينه بالذهب فى اللمعان والبريق ، الا أن التشبيه بالشهاب أجود وأقوى فى الضياء من الذهب ، كما أنه أقرب الى فطرة العرب وذوقهم فالعناية بتيجان الذهب ومظاهر الملك الحسية من شأن ملوك العجم • أما العرب والمسلمون فيحبون أن يمدحوا بالصفات المعنوية والسجايا الخلقية والفضائل النفسية ، ولذلك أعجب (عبد الملك) أيضا بالبيت التالى لبيت (ابن الرقيات) فى مدح مصعب :

ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء

ومن التصوير الجيد الجميل قول (ابن الرقيات) أيضا فى تصوير أحد أعدائه :

يأمر الناس أن يبروا وينسى وعليه من كبره جلباب !

انظر الى هذه الكناية اللطيفة المعبرة عن اتصاف ذلك الرجل بالكبر ، فكأنما الكبرياء جلباب خاص يتخذه المتكبرون ، فهو يلبس ذلك الجلباب •

ومن التصوير الجميل للمودة الرسخة التى لا تزول قول (عبيد الله الأحوص) :

وقد ثبتت فى القلب منها مودة كما ثبتت فى الراحتين الأصابع

تأمل ما فى هذا التشبيه التمثيلى المركب من دقة وابداع .

ومن بديع التصوير لموقف الفراق والوداع قول (عبدالله العرجى):

فتلازما عند الفراق صـبابة أخذ الغريم بفضل ثوب المعسر

فقد وفق فى ابراز موقف الوداع والتشبث من الحبيبين كل منهما بصاحبه ، فكأن كلا منهما غريم يريد أن يتقاضى دينه من مدين معسر مماطل ، فهو يأخـذ بطرف ثوبه بقوة وحرص خوفا من فراره فجاءت الصورة قوية رائعة معبرة .

ومن جميل تصوير (الكميت) لسوء الحكم فى عهد بنى أمية قوله:

وعطلت الأحكام حتى كأننـا على ملة غـير التى نتنحل

فقد صور سوء الحال الناتج عن تعطيل شرع الله الذى أبرز الأمة فى صورة سيئة كريهة فى صورة قوم يدينون بغير الاسلام ولا يعلمون عن هديه شيئا .

ومن روائع التصوير قول (جميل) يصور شدة وجده بمحبوبته (بثينة) التى اشتهر بها :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟!

انظر كيف صور نفسه قتيلا من الحب وصور محبوبه قاتلا ، ومن عجيب الأمر أن القتيـل يبكى ، ومما هو أعجب أن بكاءه من شدة حبه لقاتله . فانظر كيف جمع للصورة غرائب المعنى ولأجل أن يؤكد غرابتها جاء فى البيت بهذا الاستفهام التعجبى اللطيف الرقيق فبلغ الغاية من الاحسـان .

ومن جيد التصوير للمصيبة قول (جرير) فى رثاء زوجه :

ودعتنى حين كف الدهر من بصرى وحين صرت كعظم الرمة البالى

انظر كيف أبان عن عظم مصيبته فى زوجه ببيان سوء حاله عندما رزئى بها فقد كان ذلك وقد كبرت سنه وضعف بصره ، ووهنت قوته . وعبر عن حاله فى ذلك الوهن بهذا التشبيه الجيد (كعظم الرمة البالى) فليس هناك ما هو أبلغ فى الوهن والضعف من ذلك . فهو اذن قد فقدها أحوج ما يكون اليها والى رعايتها وحدبها عليه ، وقيامها بأمره ، وهو بهذا الفقد فى مصيبة كبرى وبلاء عظيم .

ومثله قوله كذلك فى المعنى نفسه :

ولهت قلبى اذ علتنى كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار

وهو هنا يصور الكبر أيضا وأثره فى عظم المصيبة ، وتأمل اختياره لمادة (الولد) وهو ذهاب العقل وتحيره ، لكنه يضيف الى ذلك ما يقابل الكبر وهو صغربنيه الذين هم أيضا فى أشد الحاجة الى من يربيهم ويقوم بشئونهم ، وجاءت الكناية الرائعة (ذوو التمائم) عن الأولاد الصغار جاءت مؤكدة وخادمة للمعنى الذى أراد ابرازه ، وهو صغرهم جدا لأن التميمة وهى العوذة التى تعلق فى عنق الصغير لا تعلق الا للمولود أو الطفل فجمال التصوير فى البيت جاء من ناحيتين :

(أ) المقابلة بين كبره وصغر أولاده .

(ب) والكناية التى أظهرت مدى صغر أولاده المستدعى لشدة حاجتهم الى أمهم المؤدى الى عظم المصيبة وفداحة المصاب،مما أوقعه فى ذهاب العقل والحيرة .

ومن الصور الجميلة (لعمر بن أبى ربيعة) قوله فى (احدى

محبوباته) اللاتى تغزل بهن مصورا ترفها وما هى فيه من نعومة الحياة ولين البشرة :

لو دب ذر فوق ضاحى جلدها   لأبان من آثارهن حدور

(الذر أصغر النمل) .

فهو يدعى أن جلدها قد بلغ من النعومة والرقة حـدا يؤثر فيه دبيب أصغر الأشياء وأخفهـا وهو الذر عليه . ولا يخفى أثر البيئة الحضرية الواضح فى هذا التصوير .

ومن تصويره الجميل لاحدى محبوباته :

أبرزوها مثل المهـاة تهادى
بين خمس كواعب أتراب (٨٤)
وهى مكنونة تحـير منهـا
فى أديم الخدين ماء الشباب (٨٥)
دمية عند راهب ذى اجتهاد
صوروها فى جانب المحراب (٨٦)
ثم قالوا تحبها ؟ قلت بهـرا !
عدد النجم والحصى والتراب(٨٧)

---

(٨٤) المهاة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشى متمايلة . الكواعب جمع كاعب وهى الفتاة الناهدة الثدى . الأتراب : جمع ترب وهو من ولد معك فهو فى سنك .

(٨٥) مكنونة : مصونة مستورة . تحير : اجتمع وتردد . الأديم : البياض أو الصفحة . ماء الشباب : رونقه وبهجته .

(٨٦) الدمية : الصرة البديعة . الراهب : المنقطع للعبادة .

(٨٧) بهرا : حبا قويا .

حين شب القتول والجيد منها
حسن لون يرف كالزرياب (٨٨)
أذكرتنى من بهجة الشمس لما
طلعت من دجنة وسحاب (٨٩)
فارجحنت فى حسن خلق عميم
تتهادى فى مشيها كالحباب (٩٠)
غصبتنى مجاجة المسك عقلى
فسلوها ماذا أحل اغتصابى (٩١)
قلدوها من القرنفل والدر
سخابا واهالها من سخاب (٩٢)

الصورة الكلية للمحبوبة رائعة الجمال ، والصور الجزئية بديعة تضافرت فى رسم هذه الصورة الكلية ، فهى كالمهاة فى جمال عينيها ، وهى مصونة محفوظة كالدر النفيس وهى فى مقتبل العمر وميعة الشباب وما أجمل تعبيره عن ذلك (بنحير ماء الشباب فى أديم خديها) وهى كالدمية الجميلة فى هذا المكان المعين (محراب الراهب) ، وهى فى حسن لونها ورفيفة كالذهب الوهاج ، وهى فى حسن بهجتها وطلعتها

---

(٨٨) شبها : زاد فى حسنها وأظهر جمالها • يرف : يلمع • الزرياب : الذهب •

(٨٩) البهجة : الحسن • الدجنة : الظلمة •

(٩٠) ارجحنت : مالت واهتزت • عميم : تام • الحباب : الحية • تتهادى تتمايل •

(٩١) مجاجة المسك يتفجر منها أريجة •

(٩٢) السخاب : قلادة من قرنفل وغيره ـ القرنفل : نبات طيب الرائحة • واهالها : عجبا من حسنه على جيدها •

كالشمس عندما طلعت من بين ظلمة وسحاب ، ومشيتها المتهادية كمشية الحية فوق الرمال وهنا يمكن أن نوجه نقدا للشاعر فهو وان كان يقصد ناحية معينة من التشـبيه وهى المشية المتهادية الا أنه شـبهها بشىء مكروه وهو الحية ، وينبغى أن يكون التشبيه جميلا من جميع الوجوه. ثم أتم الصـورة الحضرية الجميـلة بذكر ما يفوح منهـا من المسـك وما تتحلى به من قـلائد الدر والقـرنفل ، وأثر ذلك فى زيادة وجده واشتعال عاطفته ، ولا ننسى ما فى الصورة من ابراز تعلقه بها فى صورة محسوسة عندما قال : انه يحبها عدد النجم والحصى والتراب .

ونكتفى بهذا القدر فى بحثنا عن الشعر الأموى ، راجين العودة إليه قريبا لنستكمل القول فى جوانبه الممتعة الكثيرة ، وقضاياه المثيرة والخطيرة.

الخاتمة

فى هذا البحث الموجز عن الشعر فى العصر الأموى أشرت فى (المقدمة) إلى الموقع الفريد لهذا العصر بين عصرى (صدر الإسلام) و(بنى أمية) وما تم فيه من أحداث كبيرة فى السياسة ، ومن حركة علمية تأسيسية ومن نهضة أدبية رائعة - وفى (الفصل الأول) تناولت ثلاثة مباحث :

١- ملامح الشعر العامة) من رواج وازدهار ، وتنافس بين الشعراء فى تجويده ، ٢- أسباب نهضة الشعر ، من عروبة الدولة ، ونشوء الأحزاب...الخ

٣- أعلام الشعر فى ذلك العصر مكتفيا بذكر أشهرهم من المجودين فى شتى الأغراض.

وفى (الفصل الثانى) تناولت (أغراض الشعر) الأموى بالتفصيل من مدح وهجاء وغزل ووصف..الخ متبعا كل غرض بنماذج له. وفى (الفصل الثالث) تناولت (خصائص الشعر الأموى) بالبيان من جهات متعددة هى : (بناء القصيدة) و(اللفظ والأسلوب) و(المعانى والأفكار) و(التصوير والخيال) ضاربا الأمثلة مع التحليل الفنى والنقد - وأرجو بعد هذا التطواف فى حديقة الشعر الأموى الغناء أن أكون قد وفقت لرسم صورة صادقة أمينة ممتعة للشعر فى هذا العصر الحافل المجيد وبالله تعالى التوفيق.

ا- فهرس (مراجع البحث)

١ ــ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى •

٢ ــ مهذب الأغانى للشيخ محمد الخضرى ، ط دار الكتب المصرية ، ١٣٤٥هـ ــ ١٩٢٦م •

٣ ــ العقد الفريد لابن عبد ربه ، ط الاستقامة بالقاهرة ، ١٣٦٠هـ •

٤ ــ الشعر والشعراء لابن قتيبة الدنيورى • مطبعة الفتوح الأدبية بالقاهرة ١٣٣٢هـ •

٥ ــ الكامل فى اللغة والأدب لأبى العباس المبرد • مطبعة حجازى ، القاهرة ١٣٦٥هـ •

٦ ــ النقائض بين جرير والفرزدق لأبى عبيدة بن المثنى : مطبعة الصاوى بالقاهرة سنة ١٣٥٣هـ •

٧ ــ ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧١م •

٨ ــ أراجيز العرب لمحمد توفيق البكرى ، مصر ، ١٣٤٦هـ •

٩ ــ المنتخب من أدب العرب لمجموعة من المؤلفين ، دار الكتب المصرية ، ١٣٥٠هـ •

١٠ ــ ذو الرمة شاعر الصحراء د• يوسف خليف دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م •

١١ ــ أدب السياسة فى العصر الأموى د• أحمد الحوف ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٩م •

١٢ ــ التطور والتجديد فى الشعر الأموى د• شوقى ضيف ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩م •

١٣ ـ شعراء أمويون د٠ نوري حمودي القيسي ، عالم الكتب بيروت، ١٩٨٣م

١٤ ـ المفصل في تاريخ الأدب العربي لأحمد الاسكندري وآخرين ، مطبعة مصر ، ١٣٥٢هـ ٠

١٥ ـ مصباح السعادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى ، ط بيروت ١٤٠٥هـ ٠

١٦ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي ، القاهرة ب ٠ ت ٠

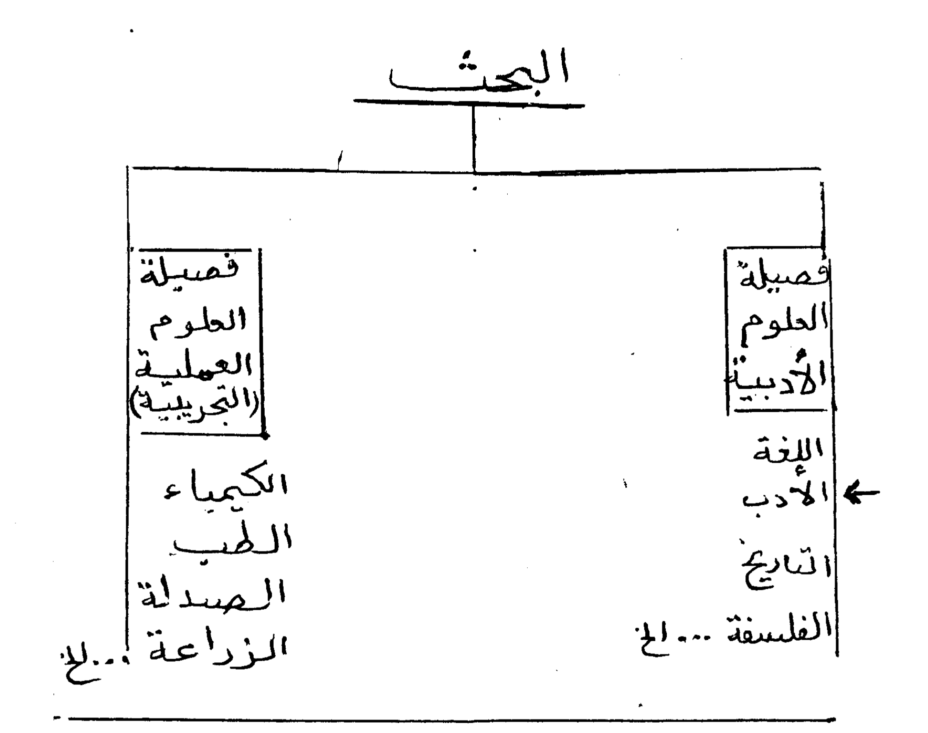
١٧ ـ تاريخ الأدب العربي في صدر الاسلام والعصر الأموي للسباعي بيومي ، القاهرة ، ١٩٣٥م ٠

٢ - فهرس الموضوعات

القصائد والمقطوعات والأبيات المفردة [مرتبة بحسب ورودها في البحث]

(★) م: رمز لصفحات ملحق الكتاب لأن لها ترقيمًا خاصًّا مستقلا عن ترقيم الكتاب.

انتماء البحث الأدبي *



* راجع ص ٤٦٠ من الكتاب

استدراك لتوضيح أهمية البحث بوجه عام

أشرنا في أول الكتاب بإشارة موجزة إلى أهمية البحث في تطوير العلوم، وفي حياة البشر*، ونضيف هنا تأكيدًا على هذه الأهمية، وعلى دور البحث الخطير فنقول: (إنّ العلوم بنات البحوث)، فما نشأ علم ولا تطوّر إلاّ نتيجة بحوث كثيرة متوالية في موضوعه، فالعلوم المختلفة مدينة في نشأتها وتطورها للبحث، وكفى بهذا دليلا على أهميته وخطورة دوره.

ومن أجل هذا أشرنا في آخر الكتاب** إلى أنه يجب أن تستغل البحوث لخير البشرية، وألاّ تستغلّ في الإضرار بها، سواء في ذلك البحوث النظرية أو البحوث التطبيقية، ففي البحوث العملية كبحوث (الذَّرّة) على سبيل المثال، ينبغي أن تتجه البحوث إلى ما ينفع الإنسانية، ويخفف من آلامها، ويحل مشكلاتها الكبرى، في مجالات الطب وعلاج الأمراض المستعصية، واستزراع الصحارى وتوفير المياه وتحقيق حياة أفضل وقد تمّ في هذا قدر قليل من البحوث، أما القدر الأكبر منها فقد وُجّه - من أسف - إلى ما فيه إفناء البشرية ومحو الحياة من على وجه الأرض بصنع القنابل الذرية ومشتقاتها، مما يشكل انحرافا رهيبا بمهمة البحث العلمي.

وفي البحوث النظرية ينبغي توظيفها لإعلاء قيم الحقّ والعدل

(*) راجع ص ٥ من الكتاب. (**) راجع صفحة ١١١ من الكتاب

والتسامح، والتعاون وتبادل الثقافات، والتعايش السلمي بين البشر، وفي نبذ التعصب والعنصرية، وقد اتجهت البحوث النظرية إلى هذه الأهداف النبيلة عند قلة من الباحثين الشرفاء المنصفين، ولكنها - من أسف كذلك - جنحت عند الأكثرية الغالبة إلى ضد هذه القيم بنظريات روجت للعنصرية والتعصب، والتفرقة بين الناس، وجعلت أكبر همها طمس الحقائق وتشويهها، وترويج الضلالات، مما انعكس آثاره السيئة على حيوات البشر السياسية والاجتماعية والفكرية فأدت إلى شقاء البشرية وتعاستها.

وأوضح مثال على ذلك ما قام به معظم المستشرقين)* من باحثي أوربا) من بحوث تخريبية، تناولوا فيها تاريخ وعلوم الشرق (ولاسيما العربي المسلم) ودينه ولغته، فقلبوا الحقائق، وشوهوا كل جميل وافتروا الأكاذيب، شفاء لأحقادهم وما في نفوسهم المريضة، وأعانوا بها المستعمرين من بني جلدتهم على إلحاق أفدح الأضرار بشعوب الشرق الإسلامي، وإنزال أكبر المظالم بها، مما يعد انحرافا خطيرا بهذه البحوث المغرضة البعيدة عن روح العلم وعن الإنصاف وعن المصداقية.

(*) راجع في هذا ما كتبه الأستاذ (عباس محمود العقاد) والإمام الدكتور عبد الحليم محمود وغيرهما.